

جرح الضوء

بقلم الياس خليل زخريا

★

خرجت ابتنا الكبرى ، وحدها ، أمس ، من النافذة .
رمت بعينها كلها من الشرفة على بعد الإبعاد ،
... قلقة ، حائرة ،
هي دائما على الشوق والتردد في همة الرحيل .
تنام في ضوضاء السهر وجلبة الهي كأنها مقيمة فسي
اطراف الغابة الموحشة .
تستيقظ ، واهية ، متمعة ، كان الليل والشمس لسم
يمسحا بأصابعهما الحالة شغتهما الضالعتين ،
تخبي ناظريها بنظارتين سوداوين اشتريتهما
لها امها لترد بهما من ناظريها قساوة الضوء .
يا لقساوة ذلك الضوء المتخفي في كثافة الزجاج ،
كيف يسرب كالوان الصور في ثنايا الضلال !!
يا لقساوة ذلك الطبع الفطري النابض نبضة في ثورة الخلق
... سالتها فتدبر فيها الضجر ،
نبتت فثار فيها التزق ،
... لتت في الصف فاشتدت قبها على الكتب والطمع ،
والليونة نفسها ، خشونة الجفاء .
رايتها تقرا ، فظننت انها تاكل الحروف من جوانبها اكلا .
نعم في نخعة ، اندفاع في انكفاء .
ظل بطوف طوفاته في جوانب البيت ،
يحاول ان يدخل علينا ، ثم ينتحب
انقباضه ويتوارى
وتلك الكتب المكدسة الخملية ، بعضها على بعض ،
وتلك الدفاتر والاوراق المنسقة ، المشوشة ،
وقميص على الارض
ورداء ، ومنشفة ، والف شيء وشيء على حافة السرير ،
وقيترية مرمية وحدها في الزاوية كأنها
منهزمة في صورة العراك ،
وصبية متكئة على مسندها ، آخذة مأخوذة ،
تكتب باطراف اصابعها اليسريات كأنها تلهم
لهوها بوقار الزمن العابر في ممرات البيت ،
ايتها الصبية الصغيرة التي كبر فيها
تلبها كما يكبر الامل في نسحة المضيق !!
ايتها الدالية الخضراء التي امتدت فيها احلامها
بعيدا الى الجزيرة التالية في بحر الاغتراب !!

ابحري ، يا بينتي ،

شقي الماء كما يشق الزورق المطنن اسرار الانق ،
ارفعني عن عينيك هذه النظارة السوداء الوافقة
كالجدار بين مفرق الشوق وخلجان الرصيف ،
افتحي النافذة على كلا المصرايين ...
لتدخل اليك الشمس باقداهما اللينة ،
ليسرح عندك الهواء باجنحته المساء ،
ليغم صدرك طيب الشباب المتطاير من قارورة العمر ،
على جفئك بقايا متناثرة من طيف هارب
قصت على امك مرارا حكاية الطيف الهارب
ذلك الطيف الذي تملص في غفلة العين مسن اهداب
الجفون ،
وتزل في الكرم الشرقي عند الدالية يروي على عرائس
القرية اخيان
المارد الاشر الذي يشق التعمم ويقف وحده عاريا في
عرش الطريق .
متى تقصين علي ، يا بينتي ، قصة الفارس المجهول الذي
يشرب بحوافره الذهبية خد القمر في ليلة العززال ؟؟
متى تقصين علي قصة التنفس ؛ وتعمتي التنفس
نخعة التضرع ، ونعمة الاثين ...
اسمع في هدوء هذه الغرفة الصامتة شبه اثن
ويا بينتي ،
اشحكي جدا هذا الليل الشارد الذي يحاول
ان يغتص بمنقاره الطويل باب القفص ليطلق جناحيه
على التلال في صبح الربيع .
حسبته مشتاقا الى القضاء
يتغزل من غصن الى غصن ، ومن تينة الى تينة ، سارحا ،
مارحا
كان الارض كلها متبر من منابر جناحه وحنجرته
حسبته يحلم بما كان يحلم به السجين المكبل
الذي اذاقته سلسلة القضاء مرارة العقاب
في بساوة النفس
حسبته يشهد تلك (العنقاء) المغربية التي قيل ان
اسراب الطير
تفتت بها في لحاح من ساعات الخلق عند ولادة الزمن
واها له من بلبل عجيب ...
واها له من شارد مشرد
يحمل بريشه من تراب الكرم حبات قديمات يشد به
خصبها الخصب من ضيق القفص الى رحابة التلال
والاوداء والظلال المتعاقبة .
لو كان القفص ترابا ندبا لمرغ البلبل فيه على الرخاء ،
والقناعة ، متقاره
الفاسب ،
لو كان القفص ورقا اخضر ، لرف عليه بجناحه المشتاق ،
وهذا الياس القاسي من الخشب ،

حلم

- ١- من أنت يا احلى من النفس
٢- عينك - بالذنيا فديتهما -
٣- تضاحكان وتكيان معا
٤- يعي بياني وصف شعرها
٥- لا تسمخي في خاطري صنما
٦- ايقظت في قلبي وساوسه
٧- قد كنت احبب ناره انطافات
٨- هبت عليها الريح ، فانقذت
٩- يا انت يا احلى بنفسجة
١٠- ذهب الصبا الا علائكه
١١- انجديين بنظرة املي
١٢- لا لن اصدق مكثيك فما
١٣- ما زال قلبي في نصارته
١٤- ماذا تفيد السيف حليته
١٥- لم يبق عندي في الهوى جلد
١٦- حولت عن جناته نظري
١٧- للحب مرحلة ، وقد ذهبت
١٨- يا حلوتي لا تنقلي خبري
١٩- « غواء » خلف خطاي ساهرة
٢٠- ماذا اقول لها اذا نشقت
٢١- ساقول عاتقي الريح فيا
٢٢- ساقولها .. لكن اذا اكتشفت
٢٣- فلسوف ازعم دونما حرج
٢٤- بوانس ايرس - الارجتين
٢٥- زكي قنصل

ان الزيت الذي مسحت به في قوة الايمان جسدا الطيب
هو عصارات مباركة من نفسها المتضرعة ،
ويا ابنتي
اقيم ليلا نهرا في نظارتك السوداء
اسهر العمر عند سريرك التليق
سلم لي قلبك الطريء من جرح الضوء
الياس خليل زخريا

لو عادت اليه نضرته ، ومواهنه لرايت صاحبنا يزقرق
فيه ، ويصفق ، ويملا البيت طربا طروبيا ،
وانطلاقا طليقا ، وشكرا شكورا ،
ويا ابنتي ،
الحمد لله ، ان التراب الذي نثرته امك على قدميك في
اسرار
الممودبة هو قطع مقدسة من قلبها الفني

زيادتها أو قيسها عن حاجاتها البيولوجية أو عن تأديتها للوظائف الحيوية المادية .

لقد كان أرسطو ليس بمد الرياضيين والأطباء ومن اليهم بالفنانيين - فالفن في نظره هو القوة التي تصوغ شكل التحصيل الإنساني الذي استطاع الإنسان على مدى الأزمان أن ينتجه - فهو الحقيقة لا نسيمه تسمية غير تامة بالأخلاق - إنه كل خلق إنساني .

وحق لنا أن نفهم أن الحاسة الفنية تتضمن شيئين : ففي الإنسان صفتان متميزتان هما صفة العمل وصفة التأمل . وفيه إنسان متميزان : الإنسان الفنان والإنسان الشاعر الجمالي - أي هناك قدرتان : الأولى القدرة على الصنع والابتكار وهي قوام الفن ، والثانية هي القدرة على التأمل وهي قوام الشعور بالجمال .

وهاتان القدرتان تتحدان فتكونان « الحاسة الفنية » وهي تتفاوت في الأفراد والجماعات . فالفن الرفيع إذن يتضمن القدرة على الصنع بجانب القدرة التأملية والتخيلية .

وعلى رغم أن هاتين القدرتين تنتهيان إلى غايات بعيدة واحدة فنحن نفرق بينهما تفرقة تامة في الفنون الرفيعة - وفي فن الحياة الذي يتضمن الأخلاق - فالقدرة الفنية تتبع من تيار النشاط الإنساني السدي بوجوب العمل - ونحن نجس جمال العمل الفني حينما ننظر إليه نظرة تأملية ، تلك النظرة التي تخلق الجمال . وكما قال رينيه دي جوردون : حينما تكون الحياة فهناك الجمال - يضيف هانوك اليس قائلا : بشرط أن تكون هناك نظرة تأملية نحو هذه الحياة .

والخلق كفن ينتمي - أكثر ما ينتمي - إلى القدرة العملية لا إلى القدرة التأملية - وقد كان هذا الموضوع من الموضوعات الجدلية التي تبين فيها الفلاسفة أشد تباين واختلاف أوسع خلاف .

كانت نظرة اليونانيين نظرة جمالية أي أنهم كانوا يرون الخلق متصفا بالعنصر التأملي الذي يبعث على الشعور الخيالي المتقيد ببواعث الفضيلة - وكانت تلك النظرة وراثية في طبيعتهم ولكنهم لم يحلوا المشكلات التي تتعلق بالموضوعات الجمالية لأنهم - رغم تمجيدهم للفنون الرفيعة وتقديرهم إياها - كانوا يحفرون الفنانين أنفسهم إذ كانوا يعتبرون الصانع أو الفنان الذي ينتج ببديهة إنسانا هنجيا وليس متمدينا .

كان افلاطون يوثق العلاقة بين الفضيلة والسعادة ، ويزاوج بين الرذيلة والشقاء - ولم يكن يقر كاتباً مسرحياً

أهم المراجع لهذا التحليل :

1 - The Dance of Life : Haveclock Ellis

2 - Art and Education : by John Dewey (& Others)

٣ - حواس الفنية (هدية للتفلسف السنوية لسنة ١٩٤٠) : اميل توفيق



اميل توفيق

مناقشة حول الفن ماهيته واهماده

بقلم اميل توفيق

ما هو الفن ؟

عرف الفن كثير من كبار الإدياء والفنانيين والنقاد جاءت تعاريفهم مختلفة متباينة وفقاً لاختلاف وتباين الزوايا التي يراه بها كل منهم .

يكتب تولستوي عن الفن قائلا : أن جميع مناحي الحياة مشبعة بالفن . . من اغنيات المهد إلى الحان الرقص - ومن ترنيمات الهيكل إلى أناشيد الشعب ، أن الفن يتخلل شعاب الحياة بأسرها ويجري سبيلاً مع جدولها ويتجاذب فائضاً مع طاقاتها النشطة . والفن كما يبدو في الثمر وفي غيره - هو الصنع أو هو الإنتاج - والفنان هو الصانع أو هو المنتج . . فالفن هو الاسم الذي نخلعه على تلك الطاقة التي يتألف منها تيار نشاطنا الحيوي حينما يتبلور أو حينما يستهدف غاية من غايات التعبير عن داخل نفوسنا - فليس هناك تعريف للفن ولكن هناك تعبيراً بين الفن الرفيع والفن الوضيع .

يقول هـ.ج. وايز : أن الفن نوع خاص من اللعب يصاغ في قالب إنشائي أو بنائي - فليس هناك بين أنواع اللعب الأخرى والفن ، بحيث يمكنك أن تقول هنا ينتمي اللعب وهنا يبدأ الفن ، أن الفن هو الطاقة البشرية في

واختم بفكرة هافلوك اليس الذي يعقب على هذه
الآراء - حول مفهوم الفن - في كتابه The Dance of Life
فيوقف بينهما قائلا :

ان جميع الفلاسفة المتقدمين كانوا مخطئين فسي
الإجابة لانهم لم يعرفوا تماما السؤال الذي هم يصعد
الإجابة منه ، وموضع الخطأ هو انهم لم يروا ان الخلق -
كسائر الوظائف النفسية الحيوية للإنسان - فن من
الفنون - وإذا كانت الفنون هي مجموعة الوظائف النفسية
التي تتبع من نشاط المرء ، فليس هناك إذن ما يدعو إلى
التفرقة بين الخلق والفن وما إليها لأن هذه الوظائف
سيحتتم أن تتحد مما اتحدوا متناسقا منسجما . إذ هي
تنبعث جميعا من مصدر واحد هو الطاقة الإنسانية .
وقد يمكن أن نصل إلى مثل هذه النتيجة من زاوية
أخرى كما سآين بعد حين .

تحليل سيكولوجي : بين العلم والفن

أولا - ان كل نشاط إنساني ، إذا تناولته دوافع
اللعب والإنشاء في خارج حدوده البيولوجية أو الحيوية
المباشرة ، إنما يتطور إلى إنتاج فني . ولكننا نفرق بين
الفنون الرفيعة كالموسيقى والشعر والأدب والنحت
والرسم وما إليها - وبقية الفنون الأخرى . فنقول ان الفن
الرفيع هو عديد الانفعالات الفنان في غير النهج
البيولوجي . بل هو على وجهاد أكمله التجربة الاجتماعية
الوجدانية التي يمر بها الفنان أو يعانيها . فلو ان المثالم
أو المنفعل بالجنون كان يعبر عن آله أو حزنه بالكبابة - أو
لو ان شخصا أحس بمشكلة وجدانية واستطاع ان يجد
لها نهاية بيولوجية لما كان هناك إنتاج فني ، ولما تكونت
آثار وجدانية تتفاعل بعمق في داخل اللا شعور . . فالفن
هو الإنتاج الذي يدفعه اللا شعور المغم بالذكريات والفكر
المتصارعة ، إلى استخدام الشعور في التعبير والمعمل .
انه ناتج للتخيلات Phantasies ولكن بلغة شعورية .

ثانيا - ولكي ترداد معرفتنا بالفن وخصائصه ،
ينبغي ان نفرق بين العلم والفن . فستعرض البحث الذي
ذهب إليه س . هيريت في كتابه « العقل الباطن في الفن
والحياة » The Unconscious in Art and Life
تحت موضوع « الفكر والخيال » Thought and Phantasy
ويتلخص فيما يلي :

١ - ان تفكير الطفولة تفكير رمزي يقابل تفكير
الإنسان البالغ في بعض الوجوه كتمبيره بالصور الذهنية
مثلا ، فالطفل صورة تعبيرية عن خصوبة الأرض ، والخضر
أو النباتات صورة تعبيرية عن الجوع وهكذا .

٢ - وقد تكون التفكير العقلي المنطقي إذ اصطدم
الإنسان بعقبات الطبيعة وواقع الحياة وصعابها ، ومن هنا
نشأ التعليل Reasoning

٣ - أما التفكير الرمزي Symbolic فمن خصائصه

أو قصصيا يجعل من الرجل الفاضل إنسانا شقيًا . أو
الرجل الآثم إنسانا سعيدا . وعند اخلاطون ان الرجل
الفاضل لا يمثل صانع أو عبيد . وإنما يرجع سبب هذه
القلة الممعة في النقاء والخلق إلى أنهم كانوا ينظرون
إلى الكائنات والموجودات نظرة فلسفية تأملية بدافع من
دوافع السلوك الخلقي المثالي . تلك كانت نظرية الفن
للخلق .

أما أرسطو ليس فقد رأى في الفن مرآى جديدا إذ
اعتبر الفن مستهدفا لأهداف التعبير الإنساني وهسي
الأهداف التي تتضمن في حد ذاتها نهاية اللذة والمتعة .
وكانت نظرة أرسطو ليس هذه حديثة العهد على اليونان
- ولذا لم يكن من المستطاع ان تطغى على النظرة القديمة
.. ومع ذلك فقد خلقت هذه النظرة .. نظرية الفن
لفن - يقول شوبنهاور ان الفن في الموسيقى وفي الشعر
وفي الفلسفة وفي الرسم ، عديم الفائدة من الناحية
المادية وهذا ما يجعله عبثيا ، وتلك هي ميزة النبل في
الفن . فالفن لذاته تماما مثل الزهرة الناضرة والعبير
العطر ، فنحن إذ نستمتع الفن ترتفع قلوبنا فوق جو
الحاجات الضرورية الثقيلة ، فالحياة هي جهاد الإرادة -
ولكن في الفن تصبح الإرادة ملووسة منطوية أي مطلقة
وهي قائلة للتأمل الخالص النقي .

ويقول برجسون ان الفنان يرفع الحجب
المادية عن الأشياء ليعلم لنا الطبيعة إذ هو موهوب بذلك
التجدد العدي للفظ والسمع والتفكير . آله الإلهام
الغريزي أو الفريزة التي فقدت منضم النفع منها ، ويقول
برجسون : ليس للفن غرض إلا ان ينزع الرموز النافعة
عمليا أو تلك الخواص الثقافية والاجتماعية لكي يقف
وجهها لوجه أمام الحقيقة نفسها . ويصبح الفن مؤديا
وظائفه الحقيقية عندما يبعدنا عن الحياة المادية .

على ان النظرة الثالثة هي ان الفن للمجتمع أو هو
للحياة ، فيقول نيتشه : ان الفن هو الباحث القوي
للحياة فهو يولد البهجة والانتعاش ولذا فلنن خاصة
النفع التي تفوق بمرآحله هدفه المباشر . وفي رأي نيتشه
ان نظرية الفن للفن نظرة خطيرة مثل الحق للحق -
والفضيلة للفضيلة . فما الفن والمعرفة والخلق إلا وسائل
قيمة نحو تمكين الجول الباعثة للحياة . فنيتشه يتفق مع
شوبنهاور وجورمون في الفض من الوظيفة الخلقية للفن
فيرون فيه وظيفة اجتماعية - وبهذا المعنى يذهب جورجيو
الفرنسي إلى ان الفن رغم تميزه المستقل إنما يتحد في
أساسه مع الدين ومع الأخلاق وهو يقول : ان هناك
وحدة كلية لمعاني الحياة والخلق والمجتمع والدين والفن
- لذا فالفن عنده في كلمة واحدة هي الحياة . وعلى
ذلك فهو يعتقد انه لا محل مطلقا للتباين بين نظرية الفن
الفن .. ونظرية الفن للخلق .. لان للفن وظيفة خلقية
 واجتماعية .

بمجرد الحدود وتناسق اجزاء العمل الفني ، الى « الرومانسية » التي تعنى بان تخلق في اجواء عليا من الاحلام الذاتية ، الى الوصفية ومنها « الواقعية » التي تعنى بموقف الفنان من مجتمعه .. ومن الحضارة السائدة باجمعها . فنحن لا نفهم طبيعة النفس البشرية الا من خلال الفن ، كما لا نتفح امناسا منافع الطبايس ، ولا نتكشف نوازع المفارقات ، او ظواهر التوافقات والتكيفات ، بل ولا تدرك فلسفة للحياة .. الا من خلال تلك الصور الانسانية المبشرة .. من روائع النغم او القصة او المسرحية او القصيدة او النحت او التصوير او الفكر المتكامل .

الفن والصوفية

ان الالم والحزن والاخفاق ، وامثال هذه الانفعالات والمشاعر ، هي التي تجعل المرء يحس الغربة والانصراف والشعور بالوحدة (او تركه وحيدا) ، وهي لذلك تحمله على ان يزيد من توثيق الروابط بينه وبين مجتمعه . وتدفعه لان يتعاون وان يتفاهم تفاهم العقل والقلب معا . وحشما توجد حاسة التجاوب بين الفرد ومجتمعه او حاسة التوافق الانجسيمي العاطفي ، فهنا تنبثق التجربة الصوفية الماضية The Mystic Experience فالوطنية ، حشما يخضع الفرد تحت تأثير التوحد في الفكر والشعور والهدف بين ابناء وطنه ، هي في الواقع شعور صوفي Mystical Feeling

وان تكن الوحدة ليست تامة بين الوطنيين ، ولكن الخلاف اكلاما وامام التصورات الاجتماعية الواحدة يفقد دلالة كماله ، وكذلك الامر في عاطفة الحب . فحينما يخضع الفرد تحت تأثير الحب ، فانه يجد ان مدى التجاوب مع الحبيب ، في الرغبات والاهواء ، قد اصبح مدى كبيرا للدرجة تصبح معها الخلافات اشياء هينة وطفيفة يمكن احتمالها بل ولا يلتفت اليها . فحاسة الاتحاد هذه ، تمحو - على الاقل لفترة ما - حاسة الغربة او الغربة .. ومن هنا .. من هذه الحاسة الواحدة ينبثق الشعور الصوفي . وهذا الانتشار الصوفي بين الاشخاص الذين توحدهم الوطنية او الحب وما اشبه هو انتشار وهمي . وكثيرا ما بنتت الحبيب باسمي الخصائص النبيلة ، والفضائل النادرة التي قد لا توجد في الحقيقة . اعني ان هناك ميلا للعقل في حالته الصوفية هذه التي يتقمس في الزعم والانفعالية .. ومن هنا يرتبط الفن بالصوفية . بعبارة موجزة ان الفن يرتبط بالتوحد بين الفنان وبين مجتمعه . والفن ايضا صوفي ، والصوفية لها قطبان : انفعالية ذاتية .. وتصورات اجتماعية .

وروائع الغنون قد ابدعها اصحابها بقصد اشباع رغباتهم . وينبغي ان يفهم ان الفارق بين الحاجات المادية

انه داخلي - يسقط الاشياء في داخل العقل - تفكير ذاتي - اما التفكير العقلي فتفكير موضوعي .

٤ - وفي الانسان يسير التفكيران جنبا الى جنب ، وبحسب درجة كل منهما يكون التمييز بين نوعين من الشخصية : الشخصية المنطوية Introvert والشخصية المنبسطة Extrovert

٥ - وهناك نظريتان تتعارضان . تقول احدهما ان الحقيقة التي يفكر فيها الانسان ويسمى اليها انما هي خارج نفسه اي في العالم الخارجي ، وان المعرفة الحقيقية التي يرغب فيها هي تلك التي يحصل عليها بمعرفة هذا العالم الخارجي . وتقول الثانية : بل الحقيقة التي يسمى اليها انما هي معرفة النفس ، ومن خلالها يرى الانسان الاشياء الخارجية .

على ان الدراسة النفسية تخلص الى ان الفكر الانساني لا يقوم على احدى هاتين النظريتين فحسب ، فالداخلية والخارجية تتمشيان مما في الفكر الانساني غير ان هناك اختلافا بين الافراد من حيث الصيغة التي يصطبغ بها تفكيرهم ، الامر الذي يجعلنا نقسم الناس من حيث الانطوائية والانبساطية .

٦ - ونحن اذا قارنا بين العلم والفن نقول : ان الفنان هو الشخص النظري الزمرة الذي يخرج للملم تلك الصور الذهنية ، والتخيلات التي يتخيلها ليها لحاجاته النفسية وذلك في قالب من التفكير العقلي . او بمباراة اوضح ان تفكير الفنان تفكير رمزي ، وهو لكي يعبر عنه يستخدم التفكير العقلي . عالم الفنان هو الرمز في حين ان العلم يقوم على معرفة الكون من الناحية الموضوعية . حتى في دراسة الظواهر النفسية الداخلية . والان يجعل بنا ان يسير شوطا آخر في التحديد :

الفن والجدة

ان كونك تنظر فتعلم او ترتب وتفحص العلاقات الاجتماعية او غيرها ، هذا علم ، ولكنك اذا نظرت فرايت « رؤية جديدة » ففسرها وتوولها في نظام فكري ، وبموقف اجتماعي معين - فهذه النظرة ، وهذا التفسير للمعاني بالوجدان الراقي ، والمفرغان في قالب جمالي - هو الفن . ان الفنان ينظر فينتطلع الى « الجديد » . فالجدة في نظره هي التي تبعته على الانتاج ، وهي كذلك المحك الذي تجعلنا نحكم على هذا الانتاج وينبغي ان يفهم ان الشيء الجديد هو الشيء المظهر من القديم . الجديد هو النامي من لقائنا وحضارتنا بتدبيرها وحاضرها . والفنان الذي يزيد من تراث الانسانية ويثرها هو الذي يجعل من التقاليد نقطة انطلاقه ، فيطورها بتفاعله . ومن هذا التطور .. تنبثق رؤياه الجديدة فالنم يغزو في الافق المتسع ، والثقافة الشاملة . ومن هذه الزاوية نحن نلمس هذا التطور في اغراض الفن ، فمن « الكلاسيكية » التي تعنى

نمبر تعبيرنا الذاتي المطلوب بشخصيتنا والمتجه نحو الحضارة الانسانية اما من حيث الفنان ، فالاتجاه السوي هو ان ينظر الى الفن على انه نوع من الحياة المتكاملة بالنسبة للفنان ، بحيث تظهر في اعماله الفنية اصالة الشخصية الكلية ، اي ان فيه يكون دالا على عمل شخصية انسانية لها (موقف معين) ، ومن هذه الزاوية يصبح لزاما على الفنان ان تتكامل عنده النظرة الى العلم والاخلاق والفن ، بحيث يوحد بينها في حياته ، وينسج في فنه بين هذه النظرات ويبحث يكون عمله الفني اشبه بكتائن حي ، لو نظرت اليه من وجهة العلم ، او نظرت اليه من وجهة الاخلاق لرأيت انسانا تلتقي عنده هذه النظرات ولا تتعارض . او ان هذا العمل الفني هو ملتقى نظراته جميعا التي اسعدت في وحدة هي وحدة الحياة ، هي فلسفة تأملية لحياة ظافرة .

فالذا استثارته انانية قاسمة مثلا ، كان عمله الفني الحقيقي بالخلود ، قصة جمالية تدعو لغير النفس المتطورة على ذاتها - اي تدعو الى الاخلاص بناصرها في طريق البطولة الحق - وفي الاتجاه التعانوي الحق . لا ان يكون قصيدة هجاء او وصفا لانفعالاته السوداوية المكثفة على نفسها بالحد والام .

فالتكامل في النظرة من وراء ثقافات متعددة ، ونتيجة الدفع الزوحي للمجتمع نحو الاتصال بالثقافات الاجتماعية الاخرى ، تحتم على الفنان الان ينزل . فان اتصاله بالحياة . . . والفكر سيطور نظره ويجدد رؤياه . ان الخلق والفن بمتقيان ما داما بهيطان على ارض الواقع يستندان بجمعا من المجتمع . فالخلق الذي يميز الشخصية المتكاملة هو الخلق النامي الذي يتصف سلوكه بحاسة العدل والمسؤولية الفردية المرتكزة على تقدير موقف الفرد بالنسبة للمجتمع . . . وهذا الخلق يلتقي لئلا بالغن الذي يستمد نفعه من الطبايع البشرية . . . ومن هنا جاءت الضرورة بان الفنان « مسؤول » ومسؤولية الفنان وحرسته لا تتعارضان ، او تتناقضان . بل انهما دعائمنا الابداع الممثل للقيم المطلقة .

اميل توفيق

شبين الكوم - ٢٠٠٤

اشتركوا في مجلة

الارباب

تساهموا في نشر الثقافة

وحاجات الفن هو ان روائع الفنون تجد صدى مباشرا لدى القلب الانساني والشخصية الانسانية . ان الفنان يضع كل نفسه في فنه وعالاه مغمم بالانسانية بدرجة لا نراها في عمل المهندس او الصانع . فالن بلا شخصية لا قيمة له . ان الفن يوسع بطريقة مباشرة من رؤياتنا ، بان بطلنا على رؤى الفنانين ، ويصيرنا بنظرهم الخاصة الانسانية المستمدة من مجتمعنا ، وبذلك نشعر بتلك الحاسة التي تتجاوب معها وجداننا وعواطفنا ، ونجد انفسنا مسوقين بالادراك نحو ما ارتآه الفنان وما اشار اليه العمل الفني .

فالفن - اذن - من هذه الناحية ، اعني من ناحية ارتباطه بفنان وبمجتمع - تسوده مشاركات وجدانية ومشاعر موحدة نتيجة حاسة التجاوب . هذا الفن يعدنا بمشاعر وآراء وافكار وجدانية تنشغلنا . وهذا الفشل والباس - فامام الفن لا نجد الفشل نهاية ، ولا نرى اليأس حلا . ولا نرتي في الظلام او العزيمية الا انهما مرحلتان من مراحل الضياء والنصر . ان الفنان المشارك لمجتمعه فنان له (موقف) . . وهو يسهم في ان يغزو الاحساس بكل القيم الانسانية النبيلة ، ويرمي ان يمتد الامس الى الماين البشرية ، التي يهدا الملل والكلال والفنك والغافة ، ويقم من اصحاب المرق والدمع الضائعة وسط الجوع بطولات حق . . فينشغل هذه القلوب الانسانية من ترحام الطريق الذي طيلته الاكفار البغيضة والعنصرية او البطولات الزائفة . هذه النظرة تجمع بين التقيضين - ان الفن ذاتي - وان الفن اجتماعي فلا غنى للفنان عن مجتمع يتجاوب معه - ولا غنى عن المجتمع من فنانين يقدونه نحو رؤى جديدة .

الفن والحضارة الانسانية . . والفن والتكامل . .

وفق النظرية الخاصة بالتقدم الاجتماعي لموريس جينزبرج Sociology - by Morris Ginsberg والقائلة بان المجتمعات وحدات نزوعية للتقدم نحو وحدة حضارية . . اي حضارة انسانية . . ومن هذه الزاوية نحن نعتبر الفن الاصيل الهادف للحياة هو الفن الذي يرمي الى تخطي الحواجز الذاتية ليس فقط للفنان ، بل والعنصرية ايضا . حقا ان للاقليمية طابعها الخاص والشرق قويمته وسماته المميزة والتي ينبغي ان تدرس وتدرك مفاهيمها فتمثل في كل انتاج فني . ولكن الشيء المهم هو ان تصبح اصالة هذه الاعمال الفنية بحيث تسهم من انسانية الحضارة المايبة في انسانية الحضارة العالمية وتزيد من تراثها . وليس معنى ذلك ان تنقطع الصلة بين ماضينا الادبي او الفني . . وانما تكون فنون ثقافتنا مستوعبة للماضي وللحاضر والمختلف الثقافات بحيث نستطيع ان نهضم وان نتمثل في لا شعورنا جميع الاتجاهات ، ومن هذه الخدمات يمكننا ان

اذكريني

الى وردة الشام .. عليها السلام

- ١- وردة الشام قفي عند السنين
٢- ذلك العهد اذكرينه تشققي
٣- حينما الاول يا فانتني
٤- ابغيتي ذكراه ، بشي طيفه
٥- اذكريني كلما شق الفضل
٦- اذكريني كلما شاد شدا
٧- اذكريني كلما الليل سجا
٨- اذكريني كلما البدر سرى
٩- طالعي حسنك في مرآته
١٠- اذكرني مدرستينا واذكري
١١- ورواقنا واصلا بانيهما
١٢- في حناياه كمنيا ساعة
١٣- ذلك اليوم تعارفنا فلما
١٤- ثم عدنا للتلاقي ، والهوى
١٥- تستقي الحظائنا اخبثاره
١٦- غامزات ، سررت اشواقنا
١٧- ثم ماذا ؟؟ دخل الحب على
١٨- واغار السحر في اعقابيه
١٩- بدات ماساتنا لما بدا
٢٠- شره منك ، ومني وله
٢١- لم تنل عذرة جبي حظوة
٢٢- الهوى الروحاني ، واخيبتني !
٢٣- اذكرني العلة اضنتني وقد
٢٤- واذكري كيف تزوجت بمن
٢٥- اذكرني يوم تجاهلت الهوى
٢٦- يوم ازعمت النوى في خفية
٢٧- دلني قلبي ، فبادرت النوى
٢٨- فد عشقنا واقتربنا دون ان
٢٩- غبت استشفي فاضائي الحنين
٣٠- غال كالسارق كنز الغائبين
٣١- فاذا بالدمع فضاح سخين
٣٢- رافة منك بهجور حزين
٣٣- مشهد التوديع اجتر الانسين
٣٤- تتحاكي بلسان العاشقين
٣٥- جودج صيدح

باريس

أنها تشعر بقليل يرقص في صدرها ،
 وبأقدامها تكد تطير بها من على
 الأرض . وقيل أن يبدأ حديثه
 أسرع قائلة : أنا فاهمة كل حاجة
 عاوز تقولها ، ولكن أنا قصدي أنني
 أقدر أذهب للسنيما ، أو لبعض
 الصديقات أو أشياء من هذا القبيل
 . . ان اعمل ، وقد اعين في بلد
 وأعيش بمفردي ، من سيكون في
 هذه الحالة الرقيب علي ؟ أنا رقيقة
 نفسي بلا شك ، أنا التي يمكن أن
 تصون نفسها ، اليس كذلك يا أبي ؟
 اصعب الام هذا الكلام ففسرت
 قائلة : الله يحبك يا بنتي ، طول
 عمرك عاقلة . أما الأب ، فقد اغطيت
 في نفسه ، وشعر كما لو أنه كان قد
 غرس شجرة ، والأب يدرك أن
 وزر رأسه موافقا مؤمنا على كلام
 ابنته ، ولم يستطع منع نفسه من
 القيام وتقبيلها في جبينها قائلة :
 مبروك يا بنتي مبروك . وشمرت
 الأم أن هذا واجها أيضا ، فطوقتها
 بذراعيها وقبلتها في خديها قبلين ،
 سمع صوتها الأب وهو يفاد
 الغرفة . واملئت فاطمة ، بين هذه
 البليات أنها قررت الذهاب اليوم
 الى السينما ، ووافق الأب بدون
 قيد ولا شرط ، ودرت الأم على
 كتفها داعية لها : الله يحبك يا
 بنتي . . الله يحبك .

لن تكن تفكر في الرواية أو دار
 السينما ، كل ما يهمها أن تعبر
 تجربة الأفراد ، فتنتزع الامعجاب من
 الجالسين وخاصة كبار السن
 باستقامتها وجديتها . واستقلت
 الاوتوبس وجلست في مقعد الدرجة
 الاولى . والغريب أنها كانت تجلس
 دائما في الدرجة الاولى ، وهي في
 طريقها الى الكلية ، الا أن شعورها
 اليوم يختلف تماما عن أي شعور
 سابق . تحس اليوم أنها قد حصلت
 على شيء ما ، وضعها في صف
 امامي ، غير تلك الصغرى التي
 تقف فيها اغلب البليات ، ثم انها

احدهما وقالت : أنا قصدي أنني
 فاهمة كل حاجة ، واعرف ما ينفع
 وما يضر ، أنا مش صغيرة .
 ابتسمت امها عند سماعها هذا
 الكلام وقالت : طول عمرك عاقلة
 يا بنتي . حولت فاطمة نظرها الى
 أبيها ، فلمحت ظل ابتسامة ساخرة
 على شفتيه : « بتضحك على أبيه
 يا بابا » . جلدت نفسها من
 سيجارته ثم قال : أنا بأضحك
 عليك ، يظهر أنك فاهمة الحرية
 خطأ . واعتقدت أن إياها ، سيدخل
 معها في مناقشة لا أول لها ولا
 آخر ، فابتدته قائلة : أنا قصدي
 أنني أصبحت أفهم كل شيء ، وأنت
 نفسك قلت لي يوم دخلت الكلية ،



بقلم مصطفى أبو النصر

ان حريت مرهونة بالشهادة .
 اعتدل الأب في جلسته ، متهيئا
 للاقاء درس اخلاقي من دروسه
 الكثيرة . وابتنت فاطمة أن والدها ،
 لن ينتهي من هذا الدرس قبل ساعة
 أو ساعتين على الأقل ، فهو دائما
 إذا ما بدأ في القاء نصائحه ،
 لا ينتهي منها غالبا الا اذا حان موعد
 صلاة المغرب ، وعليها أن تظلل
 مصغية في ادب وخشوع لا تقاطعه
 أو تناقشه ، الا حينما يسمح لها
 ولم يكن هذا اليوم ، يوم نجاحها ،
 مما يلائم هذه الجلسات الطويلة .



كانت تريد ان تشعر بأنها قد
 أصبحت فعلا حرة . فرأت أن أول
 عمل يمكن أن تقوم به ، وبدل
 - بدون شك - على أنها قد صارت
 حرة فعلا ، هو أن تذهب الى
 السينما بمفردها . ارتدت ملابسها
 على عجل ، ولسم تهتم بوضع
 مساحيق على وجهها . أنها فقط ،
 تريد أن تثبت أن حولها ، أنها يمكن
 أن تقارن - وبدون أدنى فرق - بأي
 رجل . ليس من حق أي رجل ، أن
 يذهب وحيدا الى السينما . هناك
 بعض النساء ، يذهبن الى السينما
 وحيدات ، الا أن نظرات الجالسين
 كثيرا ما تلتصمن ، وقد يقل
 احدهم على احدها ، وربما نشأت
 علاقة سريعة في الظلام .

وكان شعورها الذي جعلها تحس
 بحريتها ، هو يوم مودتها من الكلية
 بعد أن ظهرت نتيجة اللسانس .
 لم تفرح بحصولها على الشهادة ،
 قدر فرحتها بما قاله لها ابوها منذ
 أكثر من أربعة اعوام : فاطمة يا
 بنتي ، أنت صغيرة ، يوم أن تأخري
 شهادة الكلية ، يمكن أن تنصرفي
 كما تشائين ، ستكونين حرة تماما ،
 ولكن بعد أن تكوني قد عرفت ما هو
 خير وما هو شر . وحينما دخلت
 على والديها والبسمة المشرقة على
 وجهها فاجأتهما بقولها : أنني منذ
 الآن حرة ، اخرج مشي اشاء واعود
 متى أريد . عندئذ ، نظر ابوها اليها
 نظرة ذات معنى ، الا أنه لم ينطق
 بحرف ، ظل راثيا اليها ، وكأنه
 لا يدرى ما يقول . امسا امها فقد
 ابتسمت وهي تقول لها : ايه اللي
 بتقوله ده يا فاطمة ، أنت لسه
 برضه صغيرة . وشعرت فاطمة ،
 بأن كلام امها يعني شيئا ما ، وأن
 صمت أبيها ، يبدو محملا بكلام كثير
 لا تدري ما هو على حقيقته ، وأن
 كانت تدرك أنه لا بد يرقص
 هذه الحرية . وارتدت أن تخفف من
 وقع كلامها ، فربما يكونان قد فهموا
 خطأ ، أو أن معنى سببا جال بخاطر

اليوم تستطيع ان تقول وبشجاعة انها حاملة اللبسانس ، الا ان ذلك لم يكن فقط هو حقيقة شعورها انها تحس بان كيانها كله قد اعيدت صياغته بشكل اكثـر تحديدا وصلاية ، لقد دخلت باب الحياة ، وعليها هي فقط ، ان تحافظ على هذه الصلاية ، انها الان تضحك من هؤلاء الفتيات اللاتي يعتقدن - في لحظة ما - ان الرجل هو الملهن ، ستكون هي امسل الرجل ، وليس الرجل هو امها . ولفت نظرها من نافذة الابواب إعلان لرواية تعرض منذ اكثر من خمسة اسابيع ، وبدون تفكير قررت ان تدخل هذا الفيلم .

وامام شبك التذاكر ، اخذت موفتها في الطابور الطويل . كان يقف امامها رجـل طويل اشيب ، وبعد برهة وقف خلفها شاب في حوالي الثلاثين من عمره . ولا تدري اي شعور هذا الذي تملكها ، فقد احسبت برغبته في النظر اليه ، فقط لكي تحدي في عينيه بنحـد صارخ ، وكأنها تقول له : انني فـداء وحيـدة ، وسادخل السينما بمفردي . وطال انتظارها ، والطابور يتحرك كالسحابة ، وبدأت تشعر بالتعب والملل ، متفلسة بعينها وشمالها ، وفجأة ، تسال الي اذنـها صوت هادي رزـين : لقد تميت ، هل احجز لك التذاكر وتستربحين خارج الصف ؟ . التفتت خلفها ، فاذا ابـتـسـمة مرسمة على شفتي الشاب وللحظة فكسرت ، الا ان شيقها جعلها تقول : مشكورة .. مشكورة خالص .

وملت يدها بالنقود ، فاخذها منها وهو يسألها :

- كم تذكرة ؟

- واحدة .

- واحدة فقط ؟

- نعم ، واحدة لي .

خرجت من الطابور ، وارتكزت بنظرها على السبـاب الخارجـي

للسينما في مواجهة الشاب . ظلت تتأمله ، وهي تحاول ان تبعد نظرها عنه ، الا انها في كل مرة كانت تقفل وتعود تنظر اليه . كان شابا طويل القامة ، انيق اللبس ، يتميز ببـيـالة تبدو عريـقة ، اذ لم يلتفت اليها اطلاقا . وربما يكون ذلكـلـك قد غاظها ، الا انها لم تصرح لنفسها ، وجعلت ترقبه ، وهو يقترب خطوة خطوة الى الشباك . وانحنى الشاب يشتري التذاكر . وما كاد يفعل ، حتى تلفت يبحث عنها ، واقترب منها وندم لها التذكرة ، وباقـي النقود ، وحـمـين رفعت عينيهـا لتشكره ، كان قد مضى . احسـت بطعنة في كبريالها ، وخيل اليها انها قد اخطأت فـسي شيء واحد : موافقتها وسماحها له بشراء التذكرة . ولكنـها عادت تقول لنفسها : ربما سبب ذلك انني لم

اضع المساحيق على وجهي . حينما ملأت يدها بالتذكرة لرجل

البـيـا ، فـكرت انه ربما حـجز بـلـا كـرته بجانبها ، فافـتـسـمت وهي تتناول التذكرة ثانية . وحطت الى الداخل بضع خطوات ، ووقفت في الممر الكبير ، وكل جدرانـه مـن المرايا اللامعة . نظرت الى نفسها من جميع الاتجاهات ، تتأمل قوامها ، شعرها ، ملامحها ، وتدمعت على انها لم تستعمل المساحيق ، وهمت ان تدور حول نفسها فـسي اعجاب

بنفسها ، ولكنها تذكرت انها فـسي مكان عام . ولا تدري ما الذي دفعها الى استراحة النساء ، ولم تكن في حاجة الى ذلك ، واخرجت منطـفا مـن حقيبتها ، وسرحت شعرها ، امام المرأة الصغيرة المعلقة فوق الحوض ، ثم نظرت الى وجهها من الجانبين . وحين اطعمات الى شكلها غادرت الاستراحة ، ودون ان تلتفت يمينا او شمالا سـعدت الدرجات القليلة التي تؤدي الى صالة العرض ، وقدمت التذكرة الى المرشد . وقبل ان تجلس التت

نظرة عاجلة على باقي المقاعد فـسي الصف . لم ترد ان تتعرف لنفسها انها كانت تبحث عنه ، فجلست وشيء من شيق بسدا يتحرك فـسي نفسها . كان مقعدها على الحافة ، ولم تكن الكرسي التي بجانبها مباحـثـة قد شغلت بعد ، فاراحت الى هذا الخاطر ، واملت انه ربما لم يدخل بعد ، وان الكرسي المجاور لها قد يكون هو شاغله . وظلت ترقب كل الداخلين ، وفي كل مرة تأمل ان يظهر ، ونظرت في ساعتها ، لم تبق سوى دقائق وتظلم القاعة ، وبدأ العرض ، وما زالت الكرسي التي بجانبها شاغرة . وراحت تنظر في الساعة بين لحظة وأخرى في حركات عصبية . كانت تكبح جماح نفسها خشية ان يبدو عليها شيء ما . وفجأة ، لمحـته يظهر في أول الممر ، وهو يسير خلف المرشد . توالى ضربات قلبها في كل خطوة يخطوها ، كانت تحدث نفسها بأنه لا بد سيكون الجالس بجانبها ، وارتنى المرشد درجات السلم الواسعة التي تؤدي الى المقاعد ، الا انه مر من امامها وخلفه الشاب دون ان ينظر اليها . واذا ابتسمت منها ، شعرت ان شيئا ما قد فقد منها ، وهمت ان تلتفت وتبعه بنظرها الا ان الضوء بدأ يخفت ومـسـا لبت ان ساد الظلام على ثغـمات الافتتاحية الموسيقية .

بدأت صور الجريدة الاخبارية تتوالى ، وصوت الملق يدوي فـسي ليات ذاكر اخبار العالم . بعد فترة ، اكتشفت انها لم ترى شيئا ، ولم تسمع ما يقول . هزت رأسها في عنف وفتحت عينيها عنـسـن آخرها ، محاولة تركيز انتباهها في اقل ، امكنها ان تـمـي صورة وبضع كلمات ، الا ان عقلها مـسـا لبت ان شرد ، وعادت فانكشفت انها لم تنتبه ، فحاولت ثانية ان تشد انتباهها الى ما يعرض امامها ولكنها

اعلان

من الخفوات ربات الحجال
على فقري الشديد وسوء حالي
اكبده وياذن بالسزوال
اعز من الجواهر والآلي
نوسط او يعيل الى الطوال
هضم الكشح نادرة المثال
وطبع راق كالباء السزلال
للبد في السكوت وفي المقال
وصدر شامخ الخفقات عالي
يفيض علي بالسحر الحلال
وانسى جور ايامي الخوالي
لتؤثره على الدرر النوالي
جميل الوجه محمود الخلال
اشد الى اليمين به شمالي
بها يوما ولا زوج بحال
وجا ناره ذات اشتعال
اذا خمدت براكين الرجال
بخلدها على صر الليالي

يميد المثال اشبه بالبحال
اذا كان القرب قليل
وكم اخذ الوجود من الخيال

الا حسناء رائحة الجمال
فتفهمني وترضى بي فرينا
وشيب عاذني لولا خضاب
وتقبل مهرها الممدود شعرا
رداح زانها هيف وقسد
عروب بضة بيضاء خلود
لها قلب من الذهب المصفى
ونفس اشنب عذب التناي
وعينا ظبية ترعى طلاها
ووجه مشرق كالبدر حسنا
فانظم ما اشاء من القوافي
وتهوى الشعر مثل هواي حتى
فتنجب لسي غلاما الميا
وتبعه باخسر لودعسي
وانش بعده لم يشق اهل
فاني سوف اجزيها وفاء
يقلل مدى الحياة له اوار
وشعرا سائرا في كل ارض

وقال لي الرفاق طليت امرا
وما تفننى التصائد عن عروس
فقلت فانها احدى الاماني

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

عمر أبو قوس

حلب

الخافت ، كن في سن متقاربة منها ،
وجلوس في اماكنهن ، وكانت تنبعت
سهن ضحكات مكتومة . وشمرت
انها فقلت فيما كانت قد صمتت
عليه ، لم تمد يدي شيئا مما يعرض
امامها : صور تتلاحق ، وحوار
يتبادل ، دون ان تفهم شيئا .
لا تدري كم من الوقت مضى عليها ،
الا انها فجأة وبدون تفكير مسبق ،
وقفت وغادرت المينمسا دون ان
تلتفت الى شيء . حينما كانت تنزل
السلم في حذر خشية السقوط في
الظلام ، كان صوت بطسل الرواية
بضحك ضحكة عالية ساخرة .

عنه ، ولما لم تمر عليه ارتدت
رقيتها وقد خجلت من نفسها .
واقترب بائع المربطات ، فتناولت
زجاجة كوكاكسولا وتقدمت البائع
الثمن ، لم اخذت ترشف منها في
بطء . لم تكن تحس لها طعاما ، ولا
تدري لماذا اشترتها ، لم تكن بهذا
ادنى رغبة في اي شيء .

عادت القاعة الى ظلامها لائبة ،
وبدا عرض الفيلم . شيء ما بدا
يتحرك في نفسها ، لا تدري ما هو
تماما . وفي الظلام شعرت بمن
يتقرب منها ، ثم اضاءت البطارية ،
وقاد المرشد مجموعة من القتيات
فيجلسن في الكراسي الخالية
بجانبها ، تأملتن على الضوء

فلمت ايضا ، وضبطت نفسها
تفكر في ذلك الشاب . الحق ، انها
لا تدري ما الذي جعلها تفكر فيه .
انه فيما يبدو شاب مهذب لم تجل
في راسه اية فكرة سيئة . كان
فقط يريد تقديم خدمة لغشاء .
ولكن تفكيرها هي الا يعني انها كانت
تتنظر شيئا ما ، اكثر من مجرد
خدمة ؟ . حاولت ان تستبعد هذه
الفكرة « انني لا اريد اكثر من تأكيد
حزني وشجاعي . هل تفكر في هذا
يعني انني لم اكن جادة بما يكفي ؟ »
انتهت الجريدة ، وتوالى الاعلانات ،
ثم مقدمة لفيلم سيعرض قريبا .
وحين اضاءت الانوار وجدت نفسها
تنظر الى الخلف ، تبحث بعينيها

مصطفى أبو النصر

القاهرة

حتى صار يصادق في الفد عدو الامس ويعادي في اليوم صديق الفد ! وهكذا دخل السياسة عاطفيا وجدانيا ، لا مفكرا منهجيا ، والرجل العاطفي المنغل قد يكون قمة في الادب ، ولكنه لن يكون ذروة بين السياسيين !

اني لاذكر السيد محمد توفيق البكري في مضطربه السياسي المرحجن ، فانذكر معه اديبا من ادياء عصره ، كان على مثل حاله في القلق والتثقل وعدم الاستقرار على وجه خاص ، ذلكم هو الكاتب الكبير ابراهيم المولحي فقد كان لا يعرف وجهته السياسية بين الناس يقف حينما في صف اسماعيل بصد ان ينتم عليه ، ثم يتملح بانكار عبد الحميد اسبوعا وينقلب عليه فيما يليه ، ويناصر صديقه عباسا ثم يبعد الى الدس له عند السلطان، ويشي على الاستاذ الامام ، ثم يقف لحارثته في فتاويه الدينية وهو لا يبلغ عشر ميله في الفقه والافتاء ! هكذا كان المولحي الكبير ! وهكذا كان البكري في اكثر مواقفه ، وانها لكثيرة تتطلب السرد المنظم كيلا تضيع الحقائق في غبار كثيف ! بدأ السيد البكري يلج موالج السياسة منذ اختير شيخا لشيخة الطرق الصوفية ، لتتوعد مواقفه مع تركيا وعباس ، ومحمد عبده والانجليز تنوعا مبالغا بدفعها من التبعض الى التفيض ! وستدع الحوادث الصادقة تحدث بما كان !

لم يكن السيد بأخذ مكانه حتى رحل الى القسطنطينية ، فبهاء السلطان لحضرته اكثر من مرة وقلده النيشان الشامي الاول ومنعت رتبة الوزارة العلمية ، وهي قضاء شجرة الاصول ، وقد سبق ان اشرنا الى دور ابي الهدي الصيادي في اغداق هذه النعم الجزيلة مرة واحدة على الشاب الناشئ ، بحيث كان يكفي ان يتقلد نيشانا من الدرجة الثانية او الثالثة فيعود وقد اعتقد انه ظفر بالشئ الكثير ! ولكن رغبة الصيادي في اصطناع شيخ مشايخ الطرق وتقيب الاشراف بمصر ليحارب به جبهة القادرية في العراق قد زينت له ان يرفس مقامه لدى السلطان فوق كل مقام ، حتى يرجع غريفا في مكارم ابي الهدي فيلدع فضائله بين اتباعه ، وهم كثرة لا يستهان بها في البلاد .

رجع السيد توفيق الى مصر ليجد الجرائد المصرية تستقبله برتبة والقباه استقبال المتوج فالويد تملن في ٢٢ صفر سنة ١٣١٠ - بعد مقال طويل في منزلة السيد - ان هذه الرتب لم تمنح لاحد من الناس مرة واحدة في تاريخ الدولة العثمانية سواء ، وصحيفة الاستاذ تملن ابتهاجها بسيد ارفع مقام سياسته الى اسمى الراتب ، وان امير المؤمنين اعراف الخلفاء بمقام اهل الفضل والسيادة فالسيد البكري بذاته الشريفة فرد لا يشي بين الناس فيما له من الفضائل والخصائص ، وقد عرف السيد قدر ربه والقباه فساق مدائحه للسلطان وابي الهدي ، وصهاريج الزلثو يجمع بعض ما قاله نثرا



الدكتور محمد رجب البيومي

البكري في معترك السياسة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

ينسب الى الاستاذ الامام محمد عبده - رحمه الله - ان السياسة ومادة ساس يسوس ومشتقاتها - وذلك لما سمعته من عصف السياسة برجالها في عصره - واكثرهم من ذوي العزم الصادق الذين يحتالون للامر ، فينخلصون من الشباك ، ومع هذه الحنكة الماهرة ذات الدربة والزان فان السياسة تفاجئهم من دواهيها الخائفة بما لا يقدرون ، فكيف تكون العاقبة اذا خاض غمارها شاب ناشئ غير مجرب ! او ولج اليها انسان من نافذة جانبية دون ان ياتي البيت من بابه الاصيل !

لقد تبوا السيد محمد توفيق البكري منصبه الديني النجيب ، فلم يشأ ان يسلك مسلك ابيه وابيه في محايدة السياسة ومجانفاتها الا اذا لزم الحال ودعي الى ذلك من اصحاب الامر ، كما قام والده بدعوة اعيان الامة في منزله بايعاز اسماعيل ، وكما اضطر اخوه الى التوقيع على وثيقة عزل توفيق مع مئات الموقعين ! ولكن السيد رأى ان يكون راسا في ادارة الشؤون السياسية ، فزاحم ، وناضل ، ولم تكن لديه الاعصاب القولاذية لتحميه من الانهيار المفاجيء في حلبة الصراع ! كما انه فقد خلق انؤدة والتربص ، ومطاوله الامام ، واستعجل الثمرة القريبية فهاجم ونافس ، ثم ضل طريقه في ضباب الحوادث فلم يعرف مهبطا قويا يلتزمه ، بل تردد بين الوفاق والشقاق، والثورة والمسالمة، والاستخذاء والتكبر،

يجحد عاتض من أسباب العداء الكثيرة التي
تمخضت عنها الأيام .

مهما يكن من شيء لقد أدرك السيد خطاه ، فسارع
إلى استرضاء الخديوي بمساع كثيرة ، يهمنها الآن
موقفه من السلطان العثماني ، إذ نسي السيد فضيل
السلطان عليه فيما أسبغه من الإقلاق ، فأحرق سفنه
التركية حين زين لباس أن يستقل بالخلافة ، ثم مدحه
بقصيدة أشار فيها إلى أحقيته بامارة المؤمنين ، وقد كتب
يوسف طلعت باشا تقريراً خاصاً عن ذلك رفعه إلى المايين
الهياوي بالاستانة ونشره السيد محمد رشيد رضا
بالجزء الأول من تاريخ الأستاذ الامام ص ٦٢ وما بعدها
وجاء فيه عن السيد توفيق البكري بعد حديث طويل عنه:
« وسو الخديوي يريد أن يجعل لنفسه سلطة
دينية ألتها الأزهر والماتية الأوقاف وقد حدث بهذا
كثيرين وقال أن أوروبا تهاب البابا والسلطان لأجل
السلطة الدينية وهذه سهلة علينا ، وأنه ما دام الشيخ
محمد عبده مفتياً للدار الإسلامية وعضوا في الأزهر
وفي مجلس الأوقاف الأعلى وفي مجلس شورى القوانين
على يتح له في ذلك إلا العمل الرسمي القانوني الظاهر لكل
أحد » وإن الشيخ توفيق البكري الذي حسن له هذا
الرأي لا ننو له في البلاد ، وقد ساءت الناس قصيدته
التي زين فيها للخديوي دعوى الخلافة ورضي عليه وحده
سبباً » وقد انتقم الآن سامعياً فيها بينه وبين مشايخ
الأزهر ولكن بدون ذكر الخلافة » ثم ذكر السيد رشيد أن
التقرير مباح كثيراً في البكري لسم يجد ضرورة لنشره ،
وهو مصنف طبعية الحال لدى السلطان !

هذا المسمى المنكر لدى الخلافة العثمانية كان حرياً
أن يقطع صلة السيد البكري بها ، فلن يجد بعد منها
ظهيراً يعينه في مآزقه ! ولعلنا نجعل القول في سياسته
العثمانية بالحكم عليها والتسرع والجرح ، وعدم الالتفات
إلى بدعها الفضلى عليه ، حين منحه من الإقلاق ما هو
على شيخ الأزهر وقاضي القضاة ، وقد تكون منسوبة
الخلافة العثمانية مقبولة لدافع وطني صادق أو ديني
مخلص ، أما تكون مرساة للخديوي وحده ! فما أبدعها
عن السداد ! ولا سيما وقد افترخ بألقابها من قبل على
عباس !

ترك الحديث عن دور السيد مع السلطان إلى دوره
الطويل مع عباس ، وقد رأينا كيف أغضب حين أشاع
أنه لا يستطيع أن يظفر برتبة الوزارة العلمية لأحد من
المعلماء ، وكانت هذه بداية الصراع بين الرجلين ، وإذا
كان من المعروف أن السيد قد تلقى دروسه الأولى
بمدرسة الإنجال فكان رفيق الأمير وقميله ، فإن همد
الصلة المبكرة كان من الممكن أن تكون سبيلاً لصداقة
وطيدة يرعى فيها الزميلان حقوق النشأة لو أحسن السيد
اغتنام الفرصة ، فلم يجاهر بما يجلب الشواحب على الود

وشعرا بهذه المناسبة اللامعة ! وكان المنتظر أن يظل السيد
على ولائه لأمر المؤمنين والخلافة التركية ! ولكنه عمد
إلى اغضابه ، فجاءت التقارير عنه إلى السلطان بما
لا يحمد من تنكره ، والحق أن السيد قد سبق إلى ذلك
سوقاً لم يتيسر عوايقه ، وقد أتاه ذلك من ناحية عباس ،
والسألة هنا تحتاج إلى توضيح !

لقد رجع السيد من تركيا مزهواً فخروا برتبته ،
وكان به وقد أعجبه أن ينال من الإقلاق ما لم يتح لأكبر
عالم في مصر ، فأخذ يقول لجلبائه « لن يظفر سمو
الخديوي بالإنعام على رتبة الوزارة العلمية على مصري
غيري » . وانتقل الحديث إلى عباس فغضب وانقسم
بالنيشان العثماني الأول على الشيخ الأنابني والشيخ محمد
العباس المهدي وقاضي القضاة جمال الدين أفندي ثم
أرسل للسلطان ملتمساً بالإنعام على شيخ الأزهر والمفتي
برتبة الوزارة العلمية وهي قضاء عسكر الأناضول ، وعلى
القاضي برتبة قضاء عسكر الروماني فلم يصادف مطلبه
قبولاً ، وأذ ذلك تضاعف غضبه على السيد ، وأزور عن
لقائه فبادر بالاستغناء من نقابة الأشراف فاجابه :

يخطئ بعض الكتب فيجعل هذه الحادثة من أسباب
الانفصال النهائي بين السيد البكري والخديوي سنة
١٩٠٨ ، ويرجع إليها أسباب انهياره المصبي ، وهو وهم
صريح ، لأن القاب السيد قد سبقت إليه سنة ١٨٩٢ .
وقد قال الرجل قولته الأليمة في اعتباره « مباد الخديوي
إذ ذلك بالإنعام على العلماء وطلب الوزارة العلمية له من
الاستانة » ثم عفا الخديوي عنه بواسطة عباس يوسف
وأصبح حيناً بعد ذلك من أخلص خلصائه ، يسمى
لمرأته في الأزهر والأوقاف ودعوى الخلافة ، فكيف
يقول الأستاذ مصر الدسوقي بالجزء الثاني من كتابه ما
نصه :

« وقد كان اخفاق الخديوي مضاعفاً لغضبه فتعود
البكري وبلغ البكري هذا الوعيد ففرجه واستولى عليه
ألمهم لم الوهم حتى خيل إليه أن أعوان الخديوي يطارذونه
لقتله فلجأ إلى إحدى حجرات بيته ولزمها وأمتنع عن
الزوار وكان البكري يبعث في أثناء ذلك برسائله إلى
المحافظة والنائب العام وإلى رئيس النظارة يستعجلهم
ويطلب حمايتهم . . الخ »

إن الحقبة الأخيرة التي انهارت بها أعصاب السيد
بعيدة الصلة من فقره عن الخديوي في حرازه الألقاب
كما توهم الأستاذ مع الدسوقي ، وكما توهم الأستاذ
طاهر الطناني في مقاله من السيد بكتابه « الساعات
الأخيرة ص ٧٧ » ويكفي أن يكون التاريخ شاهداً حاسماً
على ذلك ، فالمدّة ما بين سنة ١٨٩٢ ، سنة ١٩٠٨ أبعد
من أن تتيح اختلال أعصاب لكلمة قبلت منذ ستة عشر
عاماً بدأ بينهما من الوئام بين الخديوي والسيد ما سلم
به من قرب ! وإن كمن مع ذلك اتزها النفسي الذي لا

المنظر ، لا سيما وقد بدأ عباس مصافاته فلم يتلکأ في اختياره مكان أخيه ، وأسرع باستاد جميع الوظائف البكرية اليه ثم أصدر امره بتعيينه عضواً في مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، وقد يقال أن جميع ذلك كان للشقيق الراحل فاستولى عليه السيد كحق طبيعي ، ولكن يقال مع هذا أن عباس لو أراد التعميق لفعل أو لاكتفى من الكل بالبيض دون ملالة ، ولكنه جامل فافاض حين اضاف الى ذلك كله الانعام على السيد بكونه الشريف من الدرجة الاولى وبالنشيان المجيدي الثاني . . وكل ذلك في نصف عام !

لقد عثر السيد توفيق حين بدأ البهاة فأخرج صدر زميله القديم وصديقه القائم بالامر واضطر السى الاستعفاء من نقابة الاشراف بارادة عباس لهذا الخطا بعينه ، لا لسميه في تقدير ميزانية للآزر ، كما احب السيد ان يفهمنا ذلك ، وقد ناقشنا هذا الموضوع في الفصل الخاص بنقابة الاشراف بما لا يدع مجالاً للشك في هذه الحقيقة ومما لا شك فيه ان السيد قد غضب لهذا الاغفاء . . ولم يشأ أن يستكين للامر منتظراً ان يحل الزمن عقده ، فبقي عليه عباس وده المازب ، ولكنه اندفع الى مازق جديد ففي نوفمبر سنة ١٨٩٧ عاد الأمير مصطفى لمستأجبول ففشرت جريدة الصاعقة التي كان يصدرها الصحافي اللاذع احمد حلمي قصيدة هجائية لعباس بمددتها الصادر في ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٧ وفي مقدمتها :

لدم ولكن لا الفول سعيد
علام التاني هل هناك مانس
تسر بنا لا طرف نوحه ناظر
تذكرنا رؤياك ايام التولست
ومتنا بكم مقدونيا فاصبنا
فلما توليت طفتيم وهكدا
فكم سبكت منا دعاء بريسته
وكم سم بطن البحر اشلاء حجة
وكم صار شمل ليليلاد مشتة
وسيق عظيم القوم منا ميكسلا
لما قام تمك بالعدالة طسار
كلني بقصر تلك اصبح بالدا
ويتدب في افلاكه اليوم تايما
اعباس لرجو ان تكون خليفة
فيا ليت دنياك تول ولينا
وقد ذبلت القصيدة بأضاء مصطفى لعلي المنفلوطي
فاهزنت لها دوائ القصر ، واستند الاتهام بادى ذي بدء الى الشاعر وصاحب الصاعقة ، ولكن الإنابة قد تواترت بان السيد محمد توفيق البكري قد اشترك في نظم القصيدة وهو صاحب المطلع ، وتضاربت الأقوال في مبحث هذا الهجاء فصوره قوم على انه انتفاضة وطنية وصرخة مدوية لقامة استبداد القصر ، وقال آخرون انه خيانة كبرى ارتكها المنفلوطي والبكري بتحريض

الاحتلال اذ أن بريطانيا كانت تدفع الادباء الى مهاجمة الخديوي وعبد الحميد معا (١) . . ثم عظمت الضجة فوقفت صحفنا المقطم والنبر والصاعقة تدفع من المنفلوطي ، وكتب نجيب الحداد في مجلة لسان العرب ١٧ - ١١ - ١٨٩٧ مقالاً حماسياً يدافع عن الشاعر ويقول مهونا من شأن جريرته « ان الحكومة قد اخطأت في توليها هذه القضية لانها ان كانت تعتبر هذه القصيدة هجوا فهي قد شهرت هذا الهجو ، واعانت عليه بما جعلت له من الاهمية » وظهرت جريدة مغفيس التي كان يحررها الأستاذ محمد مسعود تقول بالمدد ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٧ وما يليه ما تلخصه في هذه النقاط :

١ - ان المنفلوطي قد حصل على مكافأة كبرى في قهوة بالقرب من مدرسة الفرير الكاثنة بجوار سراي السيد محمد توفيق البكري بالخرنفس !

٢ - ان هدف السيد البكري من تحريض المنفلوطي على الطعن في عباس هو الانتقام من رجال المية اذ لم يلحقوه في زمرة العلماء الذين توجهوا الى محطة العاصمة لاستقباله يوم عودته وان البكري ناظم على الخديوي اشد القصة من يوم ان عزله من نقابة الاشراف ،

٣ - ان المنفلوطي قد افتر صلة السيد البكري به لانه وعده بتعيين محام للدفاع عنه وموافاته بالاكسل والشرب والمال أثناء سجنه .

وقد طرد المحكم القضائي بسجن المنفلوطي ستة اشهر واجلدا في اذ الصاعقة عشرين شهرا وقالت جريدة مغفيس : « ان الانجليز قد تدخلوا في التحقيق لايصاد النعمة عن الكرى ، ومن أجل ذلك فبروا محققا باخر ، وعينوا المستر كوربيت نائبا عموميا لمباشرة التحقيق بعد فصل النائب العمومي المصري اذ رفض توجيهات المستشار القضائي الانجليزي » وواضح ان ابدال المحقق بتسريه وتعيين نائب عمومي جديد لمباشرة التحقيق كان تدخلا انجليزيا يوحى بالهتمة البكرية ، كذلك زاد ضغط عباس على السيد ، وسافر رجاله بمقاطعته واستبدت الفواجس بالبكري عدة سنوات ولكنه بحث عن حل موفق فعثر عليه بعد حين !!

لقد كان من عادة السيد البكري اصطناع اصحاب الاقلام من رجال الصحافة بما ينفعهم من هبات تنقدهم من الافلاس في عهد لا تستطيع الصحافة الزهيدة فيه مواصلة حياتها دون تعصيد ! ظهر ذلك لسي من حديث السيد محمد كرد علي بعد كراهة لسي ص ٣٤ اذ قال عن البكري « بحث الي ذات يوم يستعيني الى داره لفرض مهم فذهب الفكر حالا الى انه يريد ان يستعصرني في مسألة له خاصة وقدم لسي مبلغا مسن الجنيهات لمعاونتي على اصدار القتبس فقلت له يسا

لا فرار

الى صيفتي « دلي » حيث لا أطم

شدني على قم الضماد ، اكاد اصرخ من جنوني
جرح يسيل على فمي .. جرح يسبح على عيوني
والنار تقضب في العروق ، تكاد تعصف في سكوتي
شدني على ضمادة المنذور يخفسر لي جينسي
فوق الجراح انا ، وفوق الوت ، والالام اللعين

سائل اضرب في ليالي الريح ، اسأل عن سحائي
حمراء لوحها الكفاح ، ورش قبتها دماي
ولقد زرعت نجومها خضراء في لون الرجاء
اسمي على الافاق مخفور كزغرغة الضياء
اطعمت عين الشمس حنجرتي ، ولم تسمع ندائي

يا انت ، ذاهلة الضمير ، حذار يسمعا الجدار
الصمت سينبأ الكبير ونحن يا كبدي صفار
ابتاه ... ان السدوب نعبان ، وليس لنا فرار
هائي اشد يدبك قبرتين ، في قلبي القرار
نفضي معا ، في الوهم ، تسلفنا الرياح ولا نثار

راعي صدوق

قطر

وقد اكد هذه الجمعية احد اسدقاء السيد علي
يوسف ورملائه في المؤيد هو الاستاذ عطية شلبي اذ نقل
عنه المذكور عبد اللطيف حمرة في كتابه « ادب المغالاة
الصحفية في مصر » - الجزء الرابع - (علي يوسف)
ص ١١٣ ما نصه :

« هذا وقد كانت بين الخديوي عباس الثاني والسيد
محمد توفيق البكري جفوة فانهم الاخير بانه قائل قصيدة
الهجاء ، ولكن المعنور له السيد علي يوسف باشا سعى
في اخراجه من هذه التهمة ونجح في مسعاه ! »

اما احمد شفيق باشا يؤكد دور الشيخ علي يوسف
في تصمة العلاقات بين الخديوي والبكري اذ يقول مسي
مذكراته الجزء الثاني ص ٣٥ :

« وقد ذكرته - علي يوسف - بهذه المناسبة انه
هو السبب في انصال السيد توفيق البكري بعد مجافاته
لانه سعى في صفح الخديوي عنه » .

ونخرج من هذا كله بان الخديوي قد تناسى كل
شيء واعاد السيد الى ثقابه الاشراف سنة ١٩٠٣ بعد
تولية السيد البلاوي مشيخة الازهر ، وبذات صفحة
جديدة في العلاقات بين الرجلين تمخضت عن اثار هامة .

محمد رجب اليومي

دار المطابع - النجوم

صاحب السباحة ، ان للمجلة رأس مال ودخلها بقسي
بحرجها وشكرته وقد طهر علي الامباي » .

ولقد اشار الاستاذ عباس محمود النقاد في كتابه
« رجال عرفتهم » ص ٥٩ الى ان السيد البكري ارسل
لصاحب الدستور الاستاذ محمد فريد وجدي مبلغا من
المال عند تأييده له يوم امتناع مشايخ الطوق عن حضور
حفلة المحفل ، فلم يقبل منه فريد وجدي غير قيمة
الاشراك لعام واحد ، ثم رد اليه البقية قبل ان ينتصف
التهار » .

ومن المعروف تاريخيا ان السيد كان شديد الصلة
بجريدة المؤيد وصاحبها علي يوسف ، وكما وقع الصحافي
الكبير في مازق مالية ، مما يجيز احتمال مساعده
البكري لصديقه ، ما دامت اعانات الصحف من خططه
السياسية ! وقد تكون صداقتهما منزهة عن المادة لترفع
علي يوسف ، فهذا لا يجزم به عن يقين ، ولكننا نشهد صلة
قوية بين الرجلين ، جعلت صاحب المؤيد يبلل وساطته
الكثيرة المتكررة لدى الخديوي عباس حتى استطاع ان
يسئل سخيتمه وان يرجع بالياه الى مجارها قبل ان تتكرر
التفوس فأنمر مسمى الشيخ علي يوسف ، وصفح عباس
من صاحبه !

رشيد ايوب

بقلم شكر الله الجر

تلك النرجسة الجميلة في حدائق الأدب ، والروح المنشفة من شعاع القمر .

شاعر الأحلام والانغام .. شاعر البؤس والشفاء . شاعر الضحكة المهلهلة يطلقها في وجه حظه المابس

التجهم .

عاش متعاليا على دهره نظيف العلالة حلو الثعالة . ومن مواهب الحياة عليه طبيعة نفس تتلام مع شاعريته الحالية . وامانيه الحائرة في ديوانيه اغاني الدرويش وهي الدنيا .

خرج منذ خمسين سنة من سفح جبل جبار اسمه (صنين) الى مدينة المتناقضات نيويورك .. وكما هي معبد للاصنام كما يقال عنها هي ايضا هيكل للفن والجمال وبدايع الخيال .

نزل ايوب في اواسطها ومدينة لا تسمى النور خلق نيبول وساعد مفتول . وان هي الا جولة واختها على ملاب الاقدار حتى عاد مندهروا وقد تمزقت اعلاؤه وتبعثرت احلامه فانطوى على نفسه في زاوية من زوايا الفشل .. راح في ظلها يدورون اوتاره ويفازل اشعاره ويعد يسده حيناً بعد حين الى قمم صنين يفترق من تلجه حفنة يصبها في كاسه مبردا بها لوايح نفسه .

وما ان ارتفع للرابطة القلمية صداح وامتد لها جناح حتى سمعنا لرشيد ايوب نفعا يشغل عن انغام الفردين من حوله فاذا هو تسج وحده بين رفاهه بمر قسوس السنين على اوتار كمنجته فيرقصها بين يديه ورقصة الطائر اللبيع ويصبح .

هات الكعجة هاتها

واحد على سبعمي حد

فالليل مد رواقه

والقلب دق ليجمع

هات الكعجة هاتها

فالليل سباه ساكن

نهو القلوب لشموها

يا صاحبي هجرت طيور

انا اعتقك التمس التمس

ومن اجل هذه النفس التي تلتذ في حبراتها اجبت رشيد ايوب ومن سمعني اغني اغنيتي « معنى الوجود »

منذ ثلاثين سنة عرف كيف توشح الالام بين وحيين وتشابه الانغام بين شاعرين دون ان تتلاقى العيون والعيون . ومن تشدك اليه اصرة الالام هو غير من تشدك اليه اصرة القلم فكيف اذا اجتمع الاثنان .. وهما مقطوع من قصيدة لي في معنى الوجود .

انت لولا الهم لا نقه معنى للوجود ؟

انت لولا الحزن لا سمع انغام الطلوع

لا ولا نسمع همس الله في صف الرعد

ان في الحزن سرورا لا تراه في السرور

ان في الالام لذات لارباب التشور

صاح كم اشطت الالام في ليبي نورا

ولكم عزت في الاحزان في الاسر سريرا

وهنا الهمس على مهدى لارفاي صغيرا

عاشكا في وجهي ابي ناقشا فيه سورا

ساليا من عينها السوداء في جني الفسار

صمما اباي من تقاعها لحسن السماء

اجل ان من يسمع من وراء الحان الكآبة الحسان السماء لهو ولا شك من سلاله الصالحين .

لما اصدرت مجلتي « الاندلس الجديدة » وهي اديبية بمصورة عام ١٩٩١ في مدينة الفعالم الزرقاء

ريز جنيرو آليت على ان اجمل من صفحاتها روضة لبلابل الشعر العربي في اي قطر من الاقطار فوثرق على اغانيها

شعراء من مصر والهرق والاردن وسوريا ولبنان وسين

مفتري وفتري . كان لها حظ من براعة رشيد ايوب في

نيويورك يرسل القطعة تلو القطعة فانتشرها في اطار من

التقدير وبما قالته بوندك جريدة السائح الغراء وهي

لسان حال الرابطة القلمية « ان رصيفنا صاحب الاندلس

على رغم ما بيننا من مسافات شاسعة ما يروح يوصل

روحه بارواحنا هنا وكأنه يعيش في جونا » .

ويوم اعترم رشيد ايوب اصدار ديوانه هي الدنيا كتب

الي يقول « لك ايها الاخ الودود ان تضع المقدمة لديواني

الجديد وانا الضمين ان كلمتك فيه ستضاعف من قيمته

وتزيد في رونقه الخ .. »

وهناك قطع من المقدمة التي صفتها لتلك الاناشيد

الخالدة في الديوان :

« لم ار حتى الان شاعرا تفرد باغاريده الحنونة

قننى ربيع بلاده وخريفها وصيفها وشتاءها وراعياها

وناظورها يمز بهم اراجيح الذكري ويهددهم على انغامه

باسلوب يفيض بساطة وجلا مثل هذا الشاعر على ما

بينه وبين بلاده من تراخي الزمن وطول المهجر قال مناجيا

بلاده يسكتنا متذكرا لياليه المشرقة على ضفاف وادبها .

فقد قل ليبي هناك

ولبي استند الهلاك

وصوت طيسه السنون

« لا ايسن وادي الفرام

« فاني لعيسى التمام

« هناك - يواذي الفرام

« لقد طالع عهد النوى

الحساء والببل

جلست الى قصص الببل
ففتيت لي كما غشي لي !
تعالى الى جانبي واسحري
سماعي وقلبي ولي عندي ..
فصوتك اجمل من صوته
وانعم من لمة الخمير
اراه تلعثم منك الفناء
نباهي بهذا ولا تخجلي !
يرفر في سجنه منشدا
يريد انفلاتا من العزل
اطال التأمل فيك كثيرا
بحسبك كم ود ان يغتلي !
فانت ضلوعي هنا تملسين
وبلبنا لخصنه يقي ..
وراح يسبح فيك الجمال
وكم غرت منه فلا تسالي !

زح - لبنان رياض معلوف

وما دام نوح قمر لبنان المطلقة على السحاب رعبا
يتفوح المزمع وينون الجبنا - ومجانز بفسلن
مصايجهن في أحشاء الظلمة وشيوخ تجالس تذكاراتها
حول مواعد الشتاء - تخبث ملاقطها بالجم والرماد .
وصبايا تغتل مغازلها على اعتاب المنازل في مشيات
الصيف وشباب ترقص الدبكة ونواظير تنصب خيامها
في كروم الجبل وكواكب ترقص في ضوء القمر فرشيد
ايوب خالد في ارواحهم وقلوبهم كما هم خالسون في
شمره .

والان يا رشيد - ايها العرويش الحبيب وقصد
سجت رياح السنين على صفائح قبرك في بلاد غريبة ما
ينسج المنكوت .. قل لي بروحك الطاهرة اليس من
غرائب الانتدار ان تمتد بي الايام فاقود بمد غربة الثلاثين
عاما لاستريح في اقباء هذا الجبل الاضر ثم لا اليت
ان ارى ذاتي موزع القلب بين جنوب الارض وشمالها
اطل من قمم التذكار على محراقات الموت تقام على شريح
بعد شريح لآخواني الشعراء ثم اراني واقفا كالحارس
الايه على مدينة الاموات اغمر قبر هذا بالزهور وانفسح
البخور .. واوقد على قبر ذاك الشموع واتثر الدموع .
اليس هذا من مهازل البناء يا سماء ؟

جبيل - لبنان شكر الله الجبر

نسيت مكان الهوى
الا اين وادي الغرام
فيا غافقات الرياح
فجسي براه النواج
الى ان يزول الفلام
ومن شعره في الحنين :

يا تلج قد هجيت اشجتي
يا تلج قد ذكرتي الوادي
يا تلج قد ذكرتي الولد
ايام كنا قربه نرقد ..

ان شاعرا حمل من خيمة التطور متجبرته وظل
يوقع الحانه عليها طيلة هذه العقود من السنين في عالم
متجدد الاالحان متعدد الاصوات والانغام كالولايات المتحدة
دون ان يتسرب الى جوهر طبيعته رشاش من بيئته هو
شاعر اصيل الطابع قوي المشاعر صادق الاحساس .
وحاشا لهذا الدرويش البناني ايوب ان تقتلع من
بين اضلاعهم تلك الروح القوية الزاخرة بكل معاني الجمال
لتستبد لها بروح عجيبة تالين وتاتثر بظواهر الحياة
المحيطة بها فتنسبها شخصيتها الاصيلة وصوتيتها
المتحدرة من شلالات روح الشرق القديم وهو القائل .
فما اشقى السدي يهضم
واليك به مقهقه في وجه الغرب هازنا متهمكسا
متعلما الى ناطحات السحاب في وجوهه وكانها تصور من
السورق ..

يا طالب الدنيا وما
فكليت نفسك بالفنسي
لكن ما لك التمسى
ادركت في الدنيا العباسي
واليا قل نفسي كالفنسي
شيدتها فيفسا آفانسي !

ان من ينطق بمثل هذه الحكمة هو من ذواوشه
هذا الشرق بما فيه من اشراق روحاني وتفوق عريش
وقناعة راضية عن قسمتها في الحياة .
دخلت مرة احدى المكاتب الكبرى في الريو جنيرو
لاشتري كتابا . واذا بسيدة برازيلية تقف اليس جانبي
وتسال بالحاح عن رواية « غرازيللا » للشاعر الفرنسي
لمرتين . وكم كان اسفها عظيما منما قيل لها ان الطبعة
الاخيرة من هذه الرواية الترجمة الى البيروغالية نفدت
كلها .

مائة سنة ونيف موت تلاعب اذبالها على ضريح
الشاعر المسجي تحت قبة « الباتيون » وما يزال في
مكاتب العالم من يفتش بلغة عن مؤلفاته العاطفية . بيد
ايها العاطفة الزاخرة بالحلم والجمال يجلوها الادب
الصادق في كؤوس من الاحساس العميق هي ما يجتذب
النفوس اليها .

وما دام على سواحل (بروسيدا) الإيطالية صيادون
وزوارق وشباك تنشر وتطوي . وفي سهلها همامات تعار
وتتخفف في مواسم الزرع والحصاد . وفي الكواخشا
فتيات يحلمن بالحلم والسعادة « فلمرتين » حي قسي
روايته « غرازيللا » الى ما شاء الادب العاطفي الرفيع .

عبدالله غوشه - ضياء الدين الخطيب

سعيد زين الدين - يوسف النجار

بقلم البدي المكنم

١ - الشيخ عبد الله غوشه

يمثل الشيخ عبد الله غوشه نموذجاً صرياً لرجل الدين المثالي ، بعيد من التزمت ، المثالي على التصب ! ويتمس هذا الشيخ بالوقور بزي اتنيق ، وحديث رفيع ، وبملا نير ، ويشق سحاته كل نافع مفيد ، ويصوب لكل طرف جديد !

ما ذكرت يوماً هذا الشيخ العمري ، الكبير في جسمه وعقله ، الا وذكرت قولاً للرسول الكريم هو « الحكمة فالة المؤمن » وكلمة لزعيم الهند الروحي المهاتما غاندي هي :

« لا أريد ليجتي ان يكون مسوراً من جميع الجهات !

ولا أريد ان تكون نوافذي مغلقة !

افتح بيتي للشمس والهواء !

واترك حالي مفتوحاً لكل ثقافة تحقق انسانيته ، لا معنى لمعرجي

مهما كان لونها وماتها !

أريد ان لهي بي يبي ثقافات سائر الأمم » .

ولد سحاته في بيت القديس عام ١٩٠٨ واتم دراسته الثانوية المتوسطة في « روضة المعارف الوطنية » في عهد مؤسسها الشيخ محمد الصالح وفي عام ١٩٢٢ قصد سحاته الأزهر الشريف وانتسب لسه ونال الشهادة العالية في عام ١٩٢٥ ، وبعد ثلاث سنوات سلخها فسي مدرسة تخصص القضاء الشرعي بالأزهر الشريف نال شهادة التخصص في الشريعة الإسلامية وهي أعلى شهادات التخصص ولقب حاملها بـ « علامة » كما جاء في البرادة الكلية المفتوحة له الا جاء فيها : « من فؤاد ملك مصر بركاته الله تعالى الى حفرة العلامة الشيخ عبد الله غوشه » . واشتهر سحاته في كافة مراحل دراسته بأنه كان « الأول » بين القرانه .

وعاد الشيخ غوشه الى بيت القديس ومن استأذنا الدين والقضاة العربية في ثابته الخليل ، واتضح يمهده حقوق القديس ونال الشهادة عام ١٩٣٢ ، والتجدي بالذكر ان أغلب دورس هذا العهد كانت تدرس باللغة الانكليزية .

وفي عام ١٩٣٤ نقل سحاته رئيساً لكتاب محكمة الخليل الشرعية وظل يزاول عمله هذا حتى عام ١٩٣٨ اذ من قاضياً شرعياً فسي بالا وبقي يمارس القضاء الشرعي منتقلاً بسبع الناصرة وجنين والخليل ونابلس الى ربي في عام ١٩٤٦ عضواً فسي محكمة الاستئناف الشرعية وبقى في هذا المنصب الى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين .

وبعد وقوع النكبة الفلسطينية المروعة (١٩٤٨) قصد سحاته باكستان وأفغانستان بتكليف من « الهيئة العربية العليا » على رأس وفد فلسطيني للدعاية للقضية الفلسطينية .

وفي اغتاف عام ١٩٤٩ عاد سحاته السي بيت القديس وانتسب ، عضواً في « لجنة توحيد القوانين » وفي عام ١٩٥٠ عين قاضياً للقضاة (في الوزارة التي ألغى السيد سعيد الفتى) وبعد ان استأقلت هذه الوزارة شكل السيد سمير الرفاعي وزارة لعين الشيخ غوشه قاضياً للقضاة ووزيراً للمالية ، ثم استأقلت هذه الوزارة لعين سحاته في آب ١٩٥١ رئيساً لهيئة الطلعية الإسلامية براتب ورتبة وزير ، وبقي في هذا المنصب الى ان ألف السيد سمير الرفاعي وزارة لعين سحاته فيها قاضياً للقضاة ، وبعد ان استأقلت هذه الوزارة عين سحاته رئيساً لهيئة الطلعية الى اوائل عام ١٩٦٤ حيث عين قاضياً للقضاة براتب ورتبة وزير .

ومنذ عام ١٩٥٥ وسحاته يلقى حديثاً دينياً اسبوعياً قبل صلاة الجمعة في المسجد الأقصى المبارك ويبلغ هذا الحديث الاسبوعي من الإذاعة الأردنية في عمان والقديس . ولهذه الاحاديث اثرها البعيد في المجتمعات الإسلامية اذ تعالج مختلف النواحي الشخصية والاجتماعية والشؤون الدينية والفنية . ولقى سحاته شرات الرسائل من مختلف الاقطار العربية والإسلامية والسودان وليبيا والعراق والكوت وسورية والسعودية والجمهورية العربية المتحدة وتركيا عجباً بهذه الاحاديث ، ويظنون من سحاته فيها تكون مرجحاً من المراجع الهامة الى بلوز بها العلماء والخطباء والمفسرون .

ونظراً لشهرة التي يتمتع بها في العالمين العربي والإسلامي تلقى سحاته ملاحظة من المصوب على بعضها وزار الاقطار التالية :

١ - الولايات المتحدة : قصدوا سحاته عام ١٩٥٢ للاشتراك في مؤتمر الثقافة الإسلامية وطلابها بالمعالم العاصر ، ذلك المؤتمر الذي عقد في جامعة برسونس بدعوة منها ، وقد حضره ستون عالماً معلوم من مختلف الاقطار الإسلامية والشعوب الاخر من اساتذة الجامعات الذين لهم عناية خاصة بالدراسات الإسلامية .

وخلال هذه الرحلة زار سحاته عدداً من المراكز الإسلامية والجامعات الأميركية في الولايات المتحدة ، ولقى فيها عدة معاصرات باللغة الانكليزية كانت تدور حول القضية الفلسطينية والحريات في الاسلام .

٢ - ألمانيا الغربية : زارها سحاته عام ١٩٦٢ بدعوة من

الجمهورية الاتينية للاطلاع على النهضة في الجوانب الثقافي والعلمي .

٣ - الجزائر : زارها سحاته عام ١٩٦٢ على رأس وفد أردني

لاشتراك في حلقة استقلال الجزائر .

٤ - العراق : زاره سحاته عام ١٩٦٢ على رأس وفد أردني

لاشتراك في عيد بغداد الألفي وفيلسوفها الكندي .

٥ - سورية والعراق والسعودية والخليج العربي : زار سحاته

هذه الاقطار العربية خلال عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ لبيع التبرعات لاعمار

المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة .

٦ - الجمهورية العربية المتحدة : زار سحاته القاهرة مرات عدة

لحضور مؤتمرات البحوث الإسلامية ، وقد عقد الأول عام ١٩٦٤ والثاني

عام ١٩٦٥ والثالث عام ١٩٦٦ بدعوة من فلبية الاساذ الكبير شيخ

الجامع الأزهر .

٧ - المغرب : زار سحاته هذا القطر العربي بدعوة من عاهله

الجميع للاشتراك في لقاء دورس دينية في جامع مولاي الحسن

الأول بالرباط . وتقدراً من الماهل المغربي للاحداث التي قامها

سحاته زين مسره بوساط الكفاءة العسكرية المذهب من الدرجة الممتازة .

من آثاره اقليمية : صنف سحاته طائفة من الكتب والرسائل

الطربية في مادتها واسماها وقد عرفنا منها :

١ - الاجتهاد والتقليد : الاطروحة التي قسمها سحاته لمرسة

القضاء الشرعي وتل بها شهادة التخصص في الشريعة الإسلامية .

ب - فلسفة الحريات في الاسلام : الرسالة التي قدمها سحاته

عام ١٩٥٢ الى مؤنر الثقافة الاسلامية وعلاقتها بالمسلم المعاصر ، وهو المؤنر المتقد في جامعة برنستون بالولايات المتحدة .

ج - حديث الجامعة : عدة اجزاء تشتمل على الاحاديث الدينية في التفسير ، التي اقلها مساحته في المسجد الانبياء المبارك .

ولقد ميز الشيخ غوشه رانجل حبيبته وعطافته ، وانتشر بظلمته وارائه الفكرية بالصلح النجيب الشيخ محمد عبده وبالسيد رشيد رضا . وخلال دراسته في الآخرة وفي مدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة تار بساندته وفي مقدمته الشيخ محمد بغيث الطميسي والشيخ محمد حسين والشيخ عيسى منون والشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور عبد الرزاق السنهوري وغيرهم من اساتذة وشيوخ الأزهري ومدرسة القضاء الشرعي الذين عرف فيهم التحرر والانفصال .

نموذج من نثره : « الحرية هي أحد الفصول الرئيسية الهامة التي تتحدث بها سلامة الأفراد والجماعات ، بل الشعوب والحكومات ، وعليها تعتمد الامم ذات الرسالة الانسانية في اداء رسالتها وهي حق طبيعي للانسان ولأنه لا يزوم الروح للجسد والفساد للعين ، بل هي لفرة الله التي فطر الناس عليها .

والامة انما تكون مثالية اذا وفرت لافرادها وجماعاتها السعادة المادية والمعنوية واقلقت لهم هرايمهم الشخصية ، وكفلت ديمومتها وطلعت الحاخلة على هذه الحريات وصيانتها من كل اعتداء وميت ، والحرية اليوم هي النخل الشاغل للعالم اجمع ، واليحت بها في ارض من مآلياتها تطلب نشر كل الصالحات الدامية التي سجلها تاريخ الانسان في الصراع بين الحق والظلم .

ولقد اشترك في هذا الصراع ابطال الانسانية وفاده الفكر مد ان وجد الانسان ووجد الفكر ، وبالفكر الذي ارفقت اليه مباركة ونحرت افكاره كان الصراع يهوى ويصعد ويمتد ويتفلسف . ولقد كان دور الاسلام في هذه المأزكة حوزة فاضلا فاضله يمد يده شمل الحرية وهدى بتعاليم اركانها ، وايد سلطانها ، وبشر بمفاتيحها لوليتها ومنها في القلوب بعتا لا يمتري التراجع والانسحاب ، ولا يحده سوى الظلم مما طغى وتصارفت .

والاسلام - وهو التشريع العام الخالد الصالح لكل زمان ومكان ، والمستود الجامع الخلق لشؤون الامة الدينية والدنيوية - الحق لصالح الفرد والجماعة والامة على السواء - قد ملأ الواسع الحرية الهامة وفي طينتها موضوع الحريات معالجة حكيمة ناضجة . ففسر الحرية للفرد والجماعات ضمن نطاق الحكمة والصلة العامة وشرع من النظام والاحكام ما يكفل تحقيق ذلك ويعصونه ، بكل اجمع النظم المستوردة الاخرى التي عرفها الانسان .

والاسلام بمبادئه وتعاليمه خير كليل لايجاد مجتمع لسوده الحجة والسلام ويعلم علم الامن والاطمئنان . وما اجبر العالم - وهو يقاسي ما يقاسيه بسبب مختلف المبادئ والافكار والتزمت التي قد تودي بالفساد والدمية وتغشى على ثلث العليا التي تحقق في الاسلام - أن يأخذ بمبادئ الاسلام الرشيدة وتعاليمه السامية يروج الحجة والانسجام ، في ذلك سلامه واطمئنانه وسعادة البشرية وهناتها .

٢ - ضياء الدين الخطيب

كثيرا ما نهزى النشوة الروحية عندما افرا سودة مسن كي الدكتور الحكيم او اخر على حديث شريف يصح اخذه دستوراً لدنيا تعضها او لآخره نرجو حسن ختامها .

ومن الاحاديث التي تسهون ويثبت النشوة في نفس الحديث الشريف القائل : « ليس خيركم من ترك الدنيا لآخره ، ولا الاخرة للدنيا ، ولكن خيركم من اخذ من هذه .. ومن هذه ! » وهذا الحديث الرائع ينطبق على الاستاذ حماد الدين الخطيب نسا وروحا .

ولد الخطيب في بيت المقدس عام ١٩٠٥ واكمل دراسته الابتدائية في الثانوية ودراسة الثانوية في كلية الفرس والكلية الانكليزية (كلية الشياخ) في عهد استاذ العربية وادابها العلم نضلة ذريق . ونظرا لذكائه اختارته ادارة المعارف العامة بالقدس بعتة على حسابها للجامعة امريكية في بيروت وتخرج في عام ١٩٢٥ يحمل بكالوريوس في التاريخ وعين معلما في الكلية العربية بالقدس ونشر فسي مجلته مقالات تاريخية .

وفي عام ١٩٢٧ اوفته ادارة المعارف العامة بالقدس الى جامعة لندن للتخصص في التاريخ او قل في موضوع The Eastern Question وفي عام ١٩٢٨ عاد الى بيت المقدس بحمل شهادة B.A. في التاريخ وشرع يعلم في الكلية العربية . وفي عام ١٩٢٥ عين مديرا لتأنيبه الخطيب وفي عام ١٩٢٦ نقل مساعدا لمكتب الحاكم الترمية ومن خطبيا للمسجد الانبياء .

وبعد وقوع النكبة الفلسطينية نزح المسي سورية وفيه اسادا للاجتماعية في ثانوية حلب ، وفي عام ١٩٦١ استقر في دمشق وعين مساعدا لمدر التربية والتعليم في وكالة غوث اللاجئين بسورية .

نموذج من نثره : « ما لفتي الناس منذ الصغر الخوالي يتكلمون الى العربية ويعصون افي التمتع بها ، وما فتئت الامم مفكري الاسم تتنافس من الحرية وتطلع منها كل منة وضمير ، وما برحت القلوب تتشبعها والتفوق تتوق اليها .

ولكم قائل الناس من اجلها ، ولكم تشيت الحسروب واهرفت الدماء في سبيلها ، وهذه الامنية النفيسة ابدا الله تعالى في محكم الايات .

هذه الحرية التي فطرها الاسلام وجعل لها مكانة علية وقال فيها (هو) ربي الله منه عوجها خطابه لوالي مصر : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟ » . هذه الحرية التي عاش في ظلالها اهلنا في هذه ما كانت عليه في عصورها الفاسدة قدسية عالية تتشبعها القلوب القاهرة وتطوع من اجل الجهاد الفاسد سبيلها الزاوس الزكية الامة .

لا جدال في ان انسان متفوق في مكانة الحرية الرفيعة ، ويود كل امرئ من مصير قلبه ان يكون حرا فسي تعرفاته ... حرا في حركاته وسكانه ... لا يطيع ان يرى نفرا آخر يعمل على تقييدها والحد من منطلقها .

فيل لرجل لم يفرج في حياته من بقاء : « ان حاكم المدينة قد امر بمنعك من تجاوز نفوسها ! » فشق عليه هذا الامر واصبح يشعر بالقيد التليل الذي طوق به ، وصار يشبه نفسه بالعضود السدي احجز في القفس وحر من التمتع بالحرية المثلقة ، مع ان نفسه لم تحمله في يوم من الايام ان يتجاوز تلك القفوف التي كانت مباحة له . بيد ان ظلمة من الناس سيئون استعماها ، وبذلك يكونون قيد اساورها فمهما ، وهنا نرى ارباما عليان ان نعين الحد لهذه الطائفة ، اذ ان الحرية المثلقة لا يستع بها الا الوحوش مسن الحيوانات التي تعيش في البراري والقفار ، فتستبيح ما شابت ، وتاتي بكل ما توجبها اليها غريزتها .

اما الانسان فانه يعيش في نظام اجتماعي يحتم عليه ان يتنازل او يتغلب على شكر كبير من مطلق حريته ، وبمعنى ذلك لا يكون مفديا . حرية الفرد في النظام الاجتماعي مفيدة بالانتفاع ضمن نطاق الفرص بالخير ، وما دام الانسان المتحد في حاجة المسمى الانتماء في هذا النظام ليحاط بالحصول على غايات متنوعة ، اصبح من الواجب عليه ان يراعي مصلحة الغير من مواظبه الذين يعيش بينهم - ويتقيد بالعادات والتقاليد التي من شأنها الحفاظ على مصلحة الغير ، وهذه المصلحة التي نجت من الضرورة واكتسبت - مع الزمن ، الصفة القانونية » .

٣ - سعيد زين الدين

مُتد عرفت هذا الأديب التابيه وشعاره الذي يتقني به : « حب الوطن عاطفة شرف الإنسان » .

ولد « سعيد » في غزة هاشم بـلـسطين عام ١٨٩٤ ولقد أباه في سـ مـكـة ، فتعهد أمه بالتربية والتوجيه وبعثته إلى دمشق لاستكمال دراسته الابتدائية والثانوية ، وبعد أن أنهى تعليمه الثانوي عين معلما في السويداء بـ « جبل العرب » وأعطى فيها مسـدة ثلاث سنوات ثم انتقل إلى بيت المقدس مديرا لمدرسة « المأمونية » والتي يافا مديرا للمدرسة الرشدية . وبعد أن عمل في حقل التعليم عدة سنوات أفل على التجارة بزاوئها في يافا وانتسب لمعهد الحقوق الفلسطيني بالقدس ونال الشهادة عام ١٩٢٧ وعامس الصحافة ودافع عن حق الصحفي والظلم والظلم ، وتطوع ، في كثير من التشرورات الفلسطينية للدفاع عن التهمين العرب ، وانتسب نقيب للمحاميين في يافا ورئيسا لجمعية المقاصد الإسلامية وشجع على إنشاء مستشفى كبير يحمل اسمها .

وبعد حلول النكبة الفلسطينية الأولى (١٩٤٨) نزح إلى غزة وواصل عمله فيها وانتسب نقبيا للمحامين ، وخلال عمله في الجبال العام تميز بالدفاع عن أمته « والإعتزاز بلموئته » وكان خطيبا سياسيا بارعا ومؤمنا بأن الإسلام الصحيح هو جز العرب ومودعهم ، وأن السير في نهج النبي العربي الكريم والتاسي بسطى الخلفاء الراشدين هدي للعرب بولسب للمسلمين ، وفي الثالث من شهر آب ١٩٥٩ توفي بغزة ودفن في القبرة القريبة من دار المجلس البلدي .

نموذج من شعره : فرهي « سعيد » الشعر في سن مبكرة وقبـل بنظمه وشنده في الجماعات العامة والفرات الفلسطينية السياسية ، ودونك أبيتا بخطاب بها فلسطين موطنة الأول :

وطي العيب وحق من سوكا لم يور غيبس في الهاء سوكا
ما هجت يوما في سواد كوكب ذا والقلب لم تشفق بغير هواك

أرضت روحني في هواك وجهتي من كل سواد جملت فداك
الله يامرني بسبك والهمومي لا شأني يوما كل من غداك

لك في شفاف القلب أسمي منزل ومكانة عظمى وحق ملاكسا
فرباسك الفناء تحكي جنة الد فردوس حسنا والتعسيم دياكسا

وكذاك مائل كالفراخ حلاوة وكشم شسب بولاله مرهاكسا
وطل سعيد زين الدين يفتك باسم فلسطين ويشيد بذكرها

ويتنقش شرها الطيب الطهور ويقول : تربت طفلا من أرباك في الشا وأتيت جسمي من ديقه مولدي

سبحا صفت حسنا زهت بشموها وأرضي كلون التبر مثل الزبرجد

٤ - يوسف النجار

لسلف الصالح ، خطاف وشعاره ومؤرخين ، فرات هوال من الحكمس والإمتثال التي يصح أحداها « منار » يسار على هديا . ومنن تلك

الفرات البليغة قول سعيد بن جبير : « ما رأيت لأنسان لباسا أشرف من العقل ، إن اكسر صححه ، وإن وقع ألامه ، وإن دل أنفه ، وإن سقط في حسوة جبهه منهسا

واستفد ، وإن افتر افتاه . ولول شيء بحتاج إليه البليغ العلم المتخرج بالعقل ! » .

وتعيب يوسف النجار من هذه الحكمة « العلم المتخرج بالعقل ! » ولد النجار في بيت القدس سنة ١٩٢١ وكانت مرحلة دراسته

الاسدائية والثانوية في كلية زلفة المعارف الوطنية ونال شهادته عام ١٩٢٦ ومرحلة دراسته الجامعية في كلية أصول الدين (فلسفة ودراسات إسلامية) وتخصص في كلية اللغة العربية في التربية وعلم

والم يفوائد وأصوله وأحرز دبلوم مدرسة تحسين الخطوط الملكية في القاهرة عام ١٩٤٢ ويبلغ في الخط العربي ما يلقه أين مقله (٨٦٦ - ٩٤٠) الأديب الذي اشتهر بحسن الخط حتى عاد أحد مبتدعيه !

وعاد النجار من القاهرة إلى مسقط رأسه وعين في دائرة الأوقاف

مساعدة مدير وفي المجلس الإسلامي الأعلى مساعدا سكرتير المجلس ثم سكرتيرا أصيلا بعد زوال الانتداب البريطاني ، ثم وكلا مدير عام الأوقاف في فترات مختلفة . وفي عام ١٩٥٠ عين سكرتيرا للحاكم العسكري في القدس حتى تشكيل الإدارة المعنية فيها بإصلاحه التي عمله في الأوقاف .

وما تمت هذه النكبة الكريمة أن عرفت من الوظائف فلتفهمها .. وانتظمت نبحث من « السلوى » في التدريس فحين صاحبها استادا للربية وأدائها في الكلية الأعلى بـرام الله عام ١٩٥١ و ١٩٥٢ فاستادا للربية وأدائها ثم للفلسفة والمنطق والاجتماع في الكلية الإبراهيمية بيت المقدس .

ولم يلف نشاط يوسف عند حد التدريس بل تجاوزوه إلى تعوم الصحافة فولى رئاسة تحرير « فلسطين » منذ استأنفت الصدور في القدس بعد انتهاء الانتداب ودرج على كتابة الافتتاحيات والمعالجات الاجتماعية والعلية ، وظل ذوقا إلى عمله هذا حتى عاد صاحبها الأستاذ رجاء عيسى العيسى ونسلم برئاسة تحريرها .

وحرر النجار في جريدة « البيت » يومية وإسبوعية وظل يعمل فيها حتى تارخ صدرها إلى ترقي احتجازها وأخص في التعليقات السياسية وفي باب اجتماعي يومي بعنوان « منير الرأي الحر » .

وبعد أن صدرت جريدة « الجهاد » يومية في بيت المقدس قبل يوسف مقرها المسؤول لثلاث سنوات وأحد كتابها البارزين حتى عام ١٩٦٥ وولى فيها كتابة الافتتاحيات والتعليقات السياسية والأخباريات

وإلا به بعنوان « ومضات » .

وأسم يوسف في تحرير جريدة « المساء » المقدسية منذ صدرت عن دار « الجهاد » إلى يوم الانها ونشر فيها لمسا قصيرة بعنوان « من صور الحياة » . والذين فرأوا يوسف في مقالاته ومعالجاته

« ومضات » فرأوا فيه كتابا اجتماعيا وشاعرا مقل . وأتبع الذين سمعوه على المنبر أن تكشفوا فيه خطيبا موهوبا يرتجل الخطبة كقته بقراها في كتاب ؟

وتقدرا لخواص النجار وأدائه انتسب فعوا في مجلس أمالة القدس ومالب رئيس جمعية تناليم وحماية الأسرة الأردنية ، ولقد

مكثا في المؤتمر العالي المنعقد في كوتهاجان عام ١٩٦٦ من آثاره القلمية : (١) المنطق قديما وحديثا ، (٢) مبادئ في علم الاجتماع ، (٣) مباحث في الفلسفة ، وهي كتب للطلاب .

(٤) دراسات في الفكر وتقديره .

(٥) استراتيجيات : رسالة أصفا بعد نخرجه من الأزهر في أربعة

معدلات للحصول على درجة استاذ ، لكن هذه الرسالة القيمة كانت

من تعيب الطلج الإسرائيلي الذي استباح كل غال ونفيس في الأحياء العربية الفلسطينية ، بعد أن سهل له المستعمرون وقوع النكبة .

(٦) دراسات النصوص : مطبوعة تناول فيها الطريقة لاختيار النصوص وتدريبها .

(٧) سألينا في التعيين من خلال قواعد اللغة ولانها .

نموذج من شعره : لتجار شعر كثير من شعر الاخوانيات

والبساطات والمناسبات . ومن هذا الطراز أبيت هنا لها صديقه

الاستاذ موسى في القول بقراته وهي : حين تاجس القس على قبتارة

سأل فيال الصلمان من أوتارده حين تاجس القس على قبتارة

فتهادي القس القلوب صدها صافيا كالشمس في أسحاره

عبارسا كشمه تقسم الجسر شمة بالعبية فسي أبكساره

نالهنا تنسوة سرت في حنايسا الزوي سرى الربيع في أزهاره

وادي الطواحين

يقع وادي الطواحين في غرب مدينة « صدد » ويبدا من نبع قرية « ميرون » ، ويسير بمحاذاة سلسلة جبال الجرمق وتفرده في طرفته دواقد كثيرة من الينابيع حتى ينتهي الى بحيرة طبرية .

والنقل والدوح والجنات والشمس
بيض يسر بهن القلب والبصير
كانه من جنان الخلد ينحدر
يكاد يطرب من ترجيعها الحجر
على سراق اجباء له غبروا
وتشتكي هي مما انزل القدر
كانت لنا فيك بالابكار تبتدر
اغصانها وتبدى حسمها النفس
غلا لا تاه في توشيحها النظر
بكل لحن له في النفس مدكر
والرحى اذ تدوي الوغف والعبر
ومين نسيم عليل جوه عطر
الى السماء وحتى يطلع القمر
والشمس مجتمع والعيش مزدهر
حالت بنا الحال واستشرت بنا الفير
نصفو الزمان وبطي عنك من غدروا
ما دام فيك عمو غاصب خطر
من البلاد وشاقتهم لك الذكر

محي الدين الحاج عيسى

١- وادي الطواحين كيف الروض والزه
٢- هل من فيك كايام لنا سلفت
٣- وهل غديرك ماض في تدفقه
٤- صاف تفتي له الورداء اغنية
٥- ام قد تفكر من وجد ومن حزن
٦- خريه يشتكي للسورق غوته
٧- وادي الطواحين كم في السفع من نزه
٨- ناوي الى ظل دوحات قد اشتبكت
٩- والارض مشرفة حاكت خيالها
١٠- والطير في الايك بالشمطين لاغية
١١- وللغياه اصطخاب في تدافعها
١٢- ونحن في نشوة من طيب مجلسنا
١٣- فما تزال من الاصباح فسي صرح
١٤- ايام صفو تلقفت في مرابنا
١٥- حتى اذا الدهر ابدى ناجديه لنا
١٦- وادي الطواحين هل عود اليك وهل
١٧- وادي الطواحين لا جادتك غادية
١٨- وجاد اهلك غيت ابنا نزلوا

حلب

على وصف شامل للزواج ، قصور حقيقة الماء ، ووصف الهواء !
قلت : هون طيك ! ما فاتني الا كلام .. ما انا بالاسف لحد على
انه فاتني .. فاتنا ، وانت ، وهم ، وهن .. جميعا ، نعلم ما قبل من
قبل ان يقال ، وان لم نؤت البراءة في تنميق الكلام وتزيينه ، واخراج
الحروف من مخارجها ، ليكون لها اثرها الموسيقي في الاذن ، وحمق
الكبرياء - الماطلي - في النفس !

نحن لا نعدم ، وان نعدم « قوافل » والحمد لله .. فهم كثر ..
ولو ان جاءنا على بتصنيف كل قول قيل .. منذ حلت بنا النكبة
الكرداء ، فخرج من كل ذلك برجمات تلوح في بعدها وسفاهتها ما
التي « نقول » في نهر دجلة .. وترجم ما وصلنا من ادب العرب منذ
جاهليتهم !

نحن يا صاحبي بحاجة الى شيء واحد !
ذلك هو .. ان نكم القوافل الى الابد ، وان نعلم ذاتنا .. الا
من سماح قائد الكتبية التي نلتهم خط اثار ، لعلنا نلنا : « .

البدوي المثلث

عمان - الاردن

فانتشي طيره وقام يفتسي هائلا بالجمال في اذاره
ناشأ من انشائه الطول لعلنا فمكيات القيان بعضي نشاره
لهلالين اشراقا في ملا الكون فتلكا زعموا على المصاره
اين هذه النجوم من مشرق يبيد قسودي الازواح من اتواره
كلنا بالاصلاء يأنف ان يلقي فسوق السها صبا لسياره
ابن هليلي النجوم من نجة المجد التي اختارها اليقة داره
اياه «عوسى» الحبيب مني لتبيل خاطرا فاني طامعا غير كاره
يا سليل الملا اليك تعاقبا ماسمات كالصبح في أسفاره
حاملات اليك شبدو التهاشي ناثرات طليك أمسى نغصاره
كلل الله غرمك باليه من والدي الملا جني لغماره
بعودا من نثره : « سالتني صديق : « هل حضرت مؤتمر امس

الاول ؟ »

قلت : جابيا منه فقط !

قال : وهل استمعت الى كلمة « فلان » ؟

قلت : كلا !

قال : لقد فاته الكثير ، ليتك سمعتها ، فقد آنى فيها



منتصف المقعد الثاني ، استقر اطي حتى اطراف انامله ، ذو شعر ذهبي متموج .

وبشرة من رحيق الشهد ، معتدل القامة اميل السى الطول ، موفور الصحة ، متعل العافية ، عيشاه عملتان مستمتان وقعه حسن التكوين ، صوته موسيقي النعمة ، وابتناسمه عذبة الى درجة عظيمة ، يشي على الارض مرحا فيشيع الجور في النفس بشبابه الريان وبهجته الفائرة .

حاء الينا ، قبل ثلاثين عاما ، مدرسا للرياضيات فسي المدرسة الثانوية العلمانية بطرطوس ، فلا والله ما عرفت ارق منه ولا الطف ، فالحيوية دافقة في كيانه ، والبشر يغفر اكابيل الفار فوق جيئه ، والمحبة - سبيل الخير - تفسر قلبه .

كان يبعث نسيمات من الهوا ، الملبل الطلق ، اما داخل الصف فيهب للتلاميذ وقوفسا ، منشرجا المصدر ، يؤدون له مراسم الاحترام شاخصة اليه ابصارهم ، وساعية اليه قلوبهم ، فلا يجلس الى نفسه بوجه عبوس قمطرير بل يظل واقفا طوال فترة الدرس ، ينقل خطوه كالحجل او كراقص في حفلة ساهرة ، مشرق الوجهه ، انيق اللبس ... وبدون اية مقدمة ، وفي سبيل ان لا تضيق ثائيسه واحدة ، فانه يسلك قطعة الحكاك ، بانامل تحسبها يد طفل ، ويبدأ فسي الشرح - عملية حسابية فميلة - حسابية اخرى ، وهكذا دواليك .

وخلال ذلك لا نفتأ بتأمل الاوجه ، فيما اذا كان الانتباه تاما . ولا ينتقل من مرحلة في الدرس الى مرحلة اخرى ، قبل ان يسأل التلاميذ عما اذا كانوا قد استوعبوها كلها . ولا يكتفي بجوابهم بل يختار اضعفهم في هذه المادة فيدعوهم ان تقدم نحو اللوح ، وبتناوله قطعة الحكاك فسي

سبيل ان يدلل على صحة تفهمه للعملية حتى اذا لم يقم الدليل ، اجلسه في مقعده واعاد شرحا من جديد . فان لم يعرف اعاد الشرح مرة ثانية وثالثة ، بدون كلال . وفي احلى المرات استمر التليذ فسي غيابه ، فعيل صبر المدرس ، وقده بمباراه استفهامية : - اوانت حمار ؟

ومثل هذه العبارة ، ما تعود ان يتلفظ بها أبدا ، فما على لسانه الا الكلام الطول .

كان من فرط حبه للتلاميذ ، يود ان ينقل معلوماته الى اذهانهم جميعا ، لا يستثني منهم احدا . وكانوا يتجاوبون معه بالحبكة فيستشعرون

مدرس من فرنسا

بقلم مصطفى الخشي

عبرته عليهم وحرجه على ان يعيدوا منه ، فكان احب الدروس اليهم هي مادته ، ولو انها اصعب المواد فلا يكون في تحضير اية وظيفة قبل وظيفة الرياضيات .

كانت قاعدته ان التعليم ليس مجرد تلقين معلومات بل لا بد للتلاميذ ان يتعلموا من تصرفات استاذهم اكثر مما يتعلمون من افواله . ولذلك فلم يعرف التهاون لا مع نفسه ولا مع تلاميذه .

بدأ تعليمه لنسا بشرح الارقام الحساية التي سم التعارف عليها وعن سبب اعتبار الرقم خمسة



مقياسا للعد فيقال : ٥ - ١٠ - ١٥ - ٢٠ - ٢١ - واوكل الينا قرضا في شأن العد لتقوم بتجريبه - تحت اشرافه - وخرج بتطلع الينا من النافذة والباب اللذين ينفذان الى البهو .

وكنت الاول فسي صفي بمادة الرياضيات . وقد كبر علي ان البهي رغبة المدرس ، فاقوم بكتابة هذا الفرض الذي لا يليق بتلاميذ صف الكفاءة فرحت اليه اساله :

- اية فائدة لنا من هذا العرض ؟ رقت على شغتيه ابتناسمة رقيقة ولكنه تصنع التعاطف فقطب حاجبيه قبل ان يقول لي ببساطة ، كائلا ، - لا شان لك بهذا السؤال ...

انا ادري منك بفائدة الفرض واردي ابنة جازمة : عد الى مكانك .

ولما كان الجواب سلبيا ، قفسد حرت عن الكتابة ، فلاحظ ذلك متي - وكنت ادور بعيني فيما حولي - فاشار الي باصبعه يدعوني اليه :

لماذا لا تكتب ؟

- اني لا اكتب مثل هذا الفرض ، - اذن فالتت معاقب بساعتي حبس .

ما نيت ورجعت الي مقعدي اماود سكوني فلا أحفل بقصاصه وقد عز عليه فلم يطاوعه قلبه الا اكتب فلذهب يشكوني الى المدير - فلما مثلت امامه قدفني بعبارة اشبه بقبلة صاروخية :

- او تعرف اكثر من الذين يضمن برنامج الشهادة الثانوية ؟ وقتت امامه زربسا ، كحذاء قديم ، وبمجرد ان نقيت هذه المعرفة فقد فرض علي المدير قصاصا آخر بساعتي حبس افضيهما في عطلة يوم الاحد الاسبوعية .

وكما في المرة السابقة فقد للت بالصمت وعدت الى مقعدي غير هيب بالقصاصين معا - غلبيني الانفعال فارتمت امارات الغرارة

على وجهي ... تفرستني المدرس
فشقي عليه أمري وكان قد تقضى
زمن غير يسير على الوقت المحدد
لكتابه الفرض مناداني الى البهو ..
وعلى مدخل الباب مد يده فاجلعت
محاذرا ان كان يسود غريبي ولكنه
استعائني اليه بصوته الفني النعمة،
ذي الاصالة الموسيقية ، التي تجعله
مستجيبا في الالان :
- تعال ننزهه .

منيت مع حبا لسي جنب .
وبلهجة الصديق او الاب الحنون
فقد تصحني ان لا احجم عن كتابة
الفرض والا جعلته ان لا يتم بي
فيهمل شائي فيكون حاصل ذلك
رسوبي في فحص الشهادة الثانوية
لاني متدلل اكون متاخرا فسي مادة
الرياضيات بل اني فيها متقدم .
وما بالتقصص وانما بفعل هذه
الكلمات الخطوة التي اورقت فسي
تقسي زنيقا ووردا وربحانا فقد
عدت هذه المرة الى مقدي لاجل
في كتابة الفرض قبل ان تحين نهاية
الوقت المحدد ... واذكر انه فسي
اليوم التالي بدأ درسه فسي التندبة
بي ، بركة واناسي ، معددا فائدة
الفرض الذي كتبه انه في سبيل
تفتح المحاكمة الذهنية في عقولنا .
وهذه المحاكمة هي اسس النجاح في
مادة الرياضيات .

✱

وبعد ان كان مشغره الذهني
مرسا الى ما وراء اذنيه جابنا ذات
يوم مقصودا الا من غرة فسي
المقدمة . وتلك قصة يطلق عليها
الحلاقون اسم « الفرشاة » لان
الشعر يسوي بها من غير المشط .
ويتكسح الفضول احده التلاميذ
فيستال عن سبب القص فينهره
بخبث يرى :

- اخرج من القاعة

اعترض التلميذ على هذا التدبير
فاصطغ الكسر ، دلالا ، مثلما
يتصنع الطفل الاعتماد من لذي امه
ولكنه اشار عليه - والابتسامه

تسبح في عينيه - ان يخرج من
الباب ، امتثالا لامره ، ثم يعود الى
مقده فما يطبق ان يراه محروما من
فائدة الترح .

وعقب المدرس على فضول
التلميذ فواضح ان قص شعره كان
بسبب نصيحة الطبيب . فارتمس
على وجوهنا علامات التعجب فصحته
جيدة ونشاطه متوقد ولا دلالة فيه
لاي مرض كان .

مفت الایام سريعة متلاحقة .
وبعد ان تقضى نصف العام
الدراسي ، اذا بالمدير يفجؤنا ذات
صباح :

- اذا جاءت الساعة الماشرة
والنصف فسأتي اليكم لاختار لكم
فرض مسادة الرياضيات وكانت
العادة ان تكتبه في المدرسة تحت
اشراف المدرس خلال ساعة ونصف
قل ان تحين فرسه القداء لكيلا
يعتمد بعض التلاميذ الى تقل الحل
عن البعض الآخر .

وقاد المدير مكتبة لنكها في
استاذنا بالمتعلمين في بيوت وقد
انتابته الحمى اللعابية وانه يعد
العدة في سبيل ان يقادر البلاد ،
نهائيا ، فما واتاه المناخ ، وان معاملته
ان تنتهي قبل يومين او ثلاثة لانه
انما يدرس وهو يقوم باداء خدمة
الجندية الافرامية المفروضة عليه
نحو وطنه .

كان يريد بيروت اليومي يصل
طرطوس في الماشرة . فلما واقف
الساعة الماشرة والنصف جاءها
المدير مبتسما ابتسامة اسنية وهو
يحمل مقلها بداخله اسئلة الفرض
يخط المدرس فاملاها علينا واخذنا
فسي الاجابة داهين ان لا يصيب
استاذنا مكروه وان لا يفرقتنا قط
على اننا اكبرنا فسي الوقت نفسه
مثاليته في القيام بالواجب . واي
دليل ابلغ من ان يرسل لنا الاسئلة
وهو على فراش المرض ؟!

ومرة اخرى ، في اليوم الثاني ،
وفي الموعد المحدد لكتابة الفروض ،

فوجيء التلاميذ يرتبين الجرس ،
يدعوهن الى اجتماع عام ، في يهو
المدرسة . هجس هاجس الضوف
في صدورهم فوثقوا امام صفوفهم
واشرابت اعناقهم ، في صمت ، نحو
المدير الضخم الجثة ، والواقف فسي
الصدر وحوله هيئة التدريس .
راعهم ان عيشه تشرقان بالدمع وهو
ينعي اليهم وفاة مدرس الرياضيات
« ايسورا » Hyssaurat فسي

مستنعي بيروت ... اعلن الصمت
دقيقة واحدة احتراما للذكراه ...
اكسح التلاميذ شعور من الرهبة
والاشفاق والتلق حيال طبيعة الموت
الغامضة المتحفة تطفح الحزن من
القلوب فاحتقنت الوجوه بالدمع
واغتسلت بالدموع ... وكانت
مناحة التلاميذ لفقد مدرسهم
الحبيب .

✱

تركك هذه الذكرى الاليمه اثرها
باقيا في قلبي ، كالثدي ، وكلما نكا
بي الجرح القديم ، اشتعل فسي
صدري السم حارق فيتمكنني اسي
عقب بكساد بيكني ... وتتماوج
الاكار فسي خاطري فاطرح هذا
السؤال على نفسي متحدثا - على
طريقة من يتكلمون من بطونهم -
اويخلص مدرسو بلادى لواجبهم .
ويحيون تلاميذهم ؟ بل هل يكونون
لهم مثلكا كان هذا الغريب لتلاميذه؟!
ومن يصب وطنه يتقن ماله !

مصيف - سورية مصطفي الخش

العباسة

مشرجة شعرية

لعنان مردم بك

منشورات عويدات بيروت

الحكاية

★

من السراب • علني اسكر
 بأغريد الشذا تقطر
 نجمة بيضاء لي تغمر
 السحري • يا علاء كم تغمر !
 حتى تجيئني وبني تغمر ؟
 تبتة حتى لم يعد يزهر ؟
 وطفلي وابني • الم يشعر ؟
 زوجتي ؟ انهما تكفر
 وكان وجه طفلي يقمر
 هكذا طفلي اذ ينظر •••
 الحب بقلبي الطائر الاقصر
 طار •• طار •• لم يعد يحضر
 بجدي اذا الهواء لا يخطر ؟!
 والبيال همي الاكبر
 بضحك فيه القلب والمحجر
 احول جرحي وانما اغثر ؟!
 وضمني النجم الذي يمر
 على جيئني وهي تستمر
 على جيئني وهي تستمر
 لحن من القرآن يستقر !
 والنضاء واسع نسير ؟
 اوان ان اطيح هل اقبر ؟
 يظني قنديل لو تشمر !
 عليهما اشرعتني انشر
 كيف يا حب انا ابجر ؟
 زلت اغني • ثم اكن اصجر
 صوفية لعله يغفر •••
 علي الزيق

الحلم برد • اعطني جرعة
 يابسة حروف وجهي ، وكانت
 اين ؟ طريق من هنا •• لا ارى
 اضعته المصباح والغائم
 يا ليل خبرني ••• انا من انا
 امسر بي مر ربيع فعما
 اقص قصتي على زوجتي
 تقول زوجتي • وماذا تقول
 وطفلي في صمتها تكفر
 ومثل نر عالق في شراره
 الطائر الكان هنا ينقر
 الطائر الفناكم من زمان
 البيت مقتوح الشبايك ما
 ابصر حالتي وحال الميال
 حلمت بالبيت الذي يمر
 والان ما لي في دروب المنى
 ان لغني الصبح بانائسه
 اصبحت احتمي بايديهم
 حمامة بيضاء ايديهم
 حمامة بيضاء رفعت على
 ما ابخل العمر ! اقص الجناح
 اوان ان انشد اغنيتي
 يا حب سليني •• يكاد هوا
 الليل والبيداء في غرتي
 فكيف يا حب دروبي رمال ••
 ما زال في قلبي لحن ، وما
 ادق باب الله في خشعة
 حطب



سمد صائب

اورخان ميسر .. اديبا وناقداً

بقلم سمد صائب

مع الموت

في محاوره « فيدون » « لافلاطون » يسروي « فيدون » نفسه « لأشكرات » قصة موت سقراط قائلا : « فسي الواقع أن شعوري كان غريبا حقا وأنا الى جانبه . وفي الحقيقة لم تملكني الشفقة عندما كنت اشاهد موت رجل كنت اعلق به ، ذلك لانه بدا امام عيني - يا اشكرات - رجلا سعيدا .. سعيدا في تصرفاته وفي حديثه . وكما كان في لحظاته الاخيرة هادئا نبيل الى درجة انه وهو الداهب الى مقر « هاديس » اوحى الي باحساس بأنه لا يذهب الى هناك دون عون من الالهة ، بل انه عند وصوله الى هناك لا يد واجد سعادة لم يعرفها انسان ايدا . تلك اذن اللفة في انه لم تملكني البتة اي احساس بالشفقة كما قد يبدو طبيعيا عند من يحضر وفاة . ولكن لم يكن ايضا شعورا بالقبطة التي اعتدناها في ساعات تغلغنا ، وان كانت هذه الساعات الاخيرة هي ايضا فلسفية . والحقيقة انه كان هناك شيء غريب يتملك مشاعري ، كان مزيجا عجيبا من السرور والاسم في آن واحد ، الالم الذي كان يتناوب عندما كنت افكر في ان نهايته قد دنت ، وكان هذا شعورا جميعا نحن الذين كنا

حاضرين نضحك تارة ونبكي تارة اخرى » (١) .
أخال ان شعورا مماثلا قد انتابني وأنا الى جانب « اورخان ميسر » في ساعاته الاخيرة (٢) ، قلم تملكني الشفقة عليه وأنا اشاهده يدنو من نهايته ، اذ كان يبدو لمعني ، كما بدا سقراط لفيدون رجلا سعيدا في تصرفاته وحديثه ، كما كان هادئا نبيلاً وكأنه موقن انه سيجد في حياته الثانية سعادة لم يعرفها انسان ايدا . ولعل لسمد سعادته تلك كانت تزين علي وأنا استمع اليه يحدثني عن قضايا الادب والنقد متغنيا ، والمشاكل التي تعترض هذه القضايا ، والظلول التي يجب علينا انتاجها للخروج منها .. لقد كان شعوري غريبا حقا امتزج فيه السرور بالالم ، السرور مما اسمعه واطرب له ، والاسم من اشغالي في النهاية التي سينتهي صديقي اليها عاجلا . ولكن كنت اعجب لهذه الظاهرة التي توشك ان تثير في الشك في صمود الصديق ، ومغالاته في اظهار الصدر والتجلد اللذين لا يمكن ان يعانيهما انسان يدنو من نهايته .. بيد ان شكّي لا يبرح أن يزول حين استمع الى زوج الصديق وهي تتحدث عن صموده المصحب حيال الداء الذي كان يفتك به فتقول : كان يرفض ان يستسلم للالم .. وكان يلحن الآلهة متحاشيا ان يصرخ مهما بلغت قسوة الأوجاع ..

ولكم سادلت نفسي : ترى اكان مبعث هذا الرفض الترويح في الاستمتاع بالذائق الاخيرة التي يهبها الموت للحياة نيتها في يكره فون على الموت يعترق الفلاسفة والمفكرين فصب ؟

ان ثمة من يؤكد ان الفيلسوف الحق السدي يزاول المعرفة والفضيلة الفلسفية القائمتين على الفكر ، ويكون عمله الدائم هو الاستعداد للموت ، يصل الى حالة من الطهارة والنقاء بحيث يتلقى الامر بالذهاب في سر (٣) .. لذا فقد آمنت بأن الصديق - وهو السدي زاول طوال حياته المعرفة والفضيلة الفلسفية بلغ في لحظاته الاخيرة من الطهارة والنقاء ما جعله يستقبل الموت لا استقبال المؤمن بحتميته فصب بل استقبال المؤمن بأن الحياة الحقيقية هي الموت هو الفكرة التي في داخلنا على حد تعبير الشاعر القامي « بيترز » .. ولعل لحن الصديق الذي كان يتناهي الى زوجه حين يتناهي الالم من قسوة اوجاعه ليس سوى لحنه الاعلى لفنائه الذي كان يتغنى به حين زاول المعرفة والفضيلة الفلسفية ، وهو هنا يشبه البجعة التي تروي الاسطورة اليونانية : انها حين

(١) القيت في السطة التي القيت يوم ٢٠ - ٥ - ١٩٦٨ في المركز الثقافي العربي بطب ببناسية مرور ثلاثة ايام على وفاة الاديب المتألق الشاعر « اورخان ميسر » .

(٢) الاسول الاطلاونية - فيدون - الجزء الاول - ترجمة الدكتور نجيب بلدي ص ٢١ - ٢٢ - الطبعة الثانية . (٣) توفي سمد يوم الجمعة في ٥ - ٧ - ١٩٦٥ . (٤) الرجوع نفسه - تعليق ص ١٠ .

تشعر بدنو أجها فان ما كان لها من غناء من قبل يمسي حينئذ أكثر وأعلى منه في أي وقت مضى لفرحتها بأنها على وشك الرجل بجوار الآله الذي تخدمه ..

مسح الحياة :

ولد أوردخان ميسر العربي الأصل في « اسطبول » في ٧ أيار عام ١٩١٤ وظل فيها حتى عام ١٩٢٨ حيث انتقل مع أهله الى بلدته « حلب » التي نزع إليها أجداده من مكة المكرمة منذ ٨٥٠ عاماً . وفي حلب تلقى دراسته الابتدائية ، وحين انتهائها مضى الى « عاليه » يدرس الثانوية في « الجامعة الوطنية » وقد تتلمذ على « مارون عبود » الذي تأثر به البعد ، ثم انتقل الى « الجامعة الأميركية ببيروت » أملاً ان يدرس الطب ، بيد انه هجره بعد زمن مؤثراً عليه دراسة الادب والفيزياء ، وبعد سنوات نال شهادة (ب.ع.) بكالوريوس علوم تقدم لجامعة « شيكاغو » اطروحة تناول فيها دراسة « الانسان تحت تأثير غفده اللاقونية وسلوكه الفردي » نال على اثرها درجة أكاديمية (م.ع.) ثم عاد ثانية الى حلب ليشرف بعد وفاة أبيه على املاكه ويسم في الحركات الوطنية التي كانت تجيش بها بلاده ، خلال زواجها تحت الانتداب الفرنسي كما يتحمس للدفاع عن حق العرب في فلسطين ، ومما يؤثر عنه انه كان يشتري السلاح من ماله الخاص ويبد به المناضلين عن ذلك الجزء الثالث من وطننا المقدس . ومنذ بضعة أعوام ولانقلاب للامم العربية والانكليزية والفرنسية والتركية عين مديراً للملاقات في وزارة الاعلام السورية وظل في منصبه هذا حتى وفاته .

مسح الادب :

بدأ الكتابة عام ١٩٢٩ يوم كان طالباً في « عاليه » ثم ألهاها نثراً ونظماً متأثراً بشعراء المهجر . وبعض الشعراء الانكليزية بخاصة « ت.س. الوت » و « وورث بروك » كما تأثر بمفكرين عرب كعمق صروف واسماعيل مظهر وسلامة موسى ، وفؤاد صروف . ومفكرين غربيين كالغيلسوف الألماني « بوخنر » و « داروين » و « فرويد » وظل يتابع الكتابة ناقداً ومؤلفاً ومترجماً فنشر في العربية العديد من البحوث والقصائد المترجمة والعديد من البحوث باللغة الانكليزية التي كانت تنشرها له « المجلة الشهرية للبحوث العلمية » الصادرة في « بوسطن » بأمريكا وقد دتمت جامعتها عام ١٩٣٦ لتدريس الادب العربي فيها .. ظهر له في حياته كتابان بالعربية : « شوقي وعصره » و « سربال » وهو دراسة عميقة في السريالية والشعر السريالي ضمنها قصائد له ولصديقه الدكتور علي الناصر تنحوا هذا النحو . وكتاب مترجم بعنوان « الانسان الرقص في امريكا » وكتاب بالانكليزية بعنوان « الانسان

تحت تأثير غفده » . وما زالت آثاره المنشورة التي حرست زوجها بعد وفاته على جمعها وتبويبها تنتظر من يخرجها من ظلمات الادراج لتلاصق النور فينتفع بها جيلنا والايال الالية .

اسلوبه وطريقته في النقد :

لئن لم يقلع تلايمه « سقراط » عن عادتهم بالاجتماع به ، كذلك لم يقلع اصدقائه « أوردخان ميسر » عن الاجتماع به ، وكنت في اواخر ايامه اجتمع به لاسري عنه من نحو ، ولاتطرح واباه القضايا الادبية والفكرية التي لا تفتأ تفرض نفسها على حياتنا الادبية والفكرية من نحو آخر ، موتنا بان من شاء ان يعرف « أوردخان » الانسان فيلصقه بجند الانسان ، ومن شاء ان يعرف « أوردخان » الادب والفكر فليسمعه بجند الادب والفكر فكان انسانيته واحاديثه توافان متكاملان من الصب على من لم يصعبه الكشف عن هاتين الظاهرتين . وفي لقاء جرى لي معه قبيل وفاته بثلاثة اشهر دار حديثنا حول اسلوبه وطريقته في النقد فابتدري قائلاً : ما رأيك في اسلوبي ؟

قلت : ليس اسلوبك كما وضع لي من خلال فراءتي كتاباتك بالاسلوب الساحر الغلاب الذي ياسر برينيه ، ولا بالاسلوب ذي الدباجة الذي يمتنى بالشكل ولا يحفل بالمضمون ، بل هو اسلوب يقترن شكله بمضمونه فسيحاً ، لا يفتقر الى حيل الدلو من الاسلوب العلمي المليء بالانكسار ، بل هو اسلوب من الاسلوب الادبي ، المليء بالاخيلة والتشابه التي لا تجدي نفعا .. فانت اديب مفكر وعيت البلاغة التي تمنى الابحار فحسب ، وضعت آراءك على اسس فكرية مركزه دون الاحتفال بتنميقها .. ولست متأثراً - كما أرى - بسواك من الادباء ممن قرأت لهم او تتلمعت عليهم ، لانك تحرص اشد الحرص على ان تكون لك آراؤك الخاصة في الادب والنقد ، كحصر كل على ان يكون لك اسلوب الخاص ، وهذا يعني ان لك شخصية مميزة ، وان هذه الشخصية تتجلى واضحة اتم وضوح في كتاباتك وتفكيرك . ويبدو لي ان لتفانك اتم بيتنها من اطلاك الواسع على ثقافات الامم التي اتقنت لغاتها الى جانب اطلاك على ثقافة امك ، اثرها البارز في تكوين شخصيتك ، ولعل لراحل حياتك التي عشتها اثرها في بلورة هذه الشخصية .. قلت له وقد خلاص قلبي شك في عمودي عن مقصود غرضه واذا بان لي انه وجد رأيي فيه عند ارادته وحسب بغيته ، ابتدريته قائلاً : هذا رأيي فيك فما هو رأيك في نفسك ؟ قال وهو يغالب المادب في اسارير وجهه : يعتمد اسلوبي في النقد بخاصة على مرتكزين :

اجدهما الموضوعية المطلقة ، وثانيهما الاستنتاج الرياضي في حدوده التجريدية المعروفة في الرياضيات .. اما الطريقة فيمكن تعريفها بأنها طريقة قياس تلعب فيه

لا نبرح نعاني بعض جوانبها بينما نرى في بعض الجواب
الآخرى ما يشجع على توليد أفكار جديدة من شأنها أن
تبدل من المفاهيم العاصرة في معاجم مجتمعنا العكسري
والنقسي .. صحيح أننا لم نسهم حتى اليوم في بناء
الادب العالمي ، بيد أن خطانا الواسعة الحثيثة تبشر بفسد
ادبي جميل خير .. ليس ثمة في الادب العالمي المعاصر
أي اتجاه الزامي ، بل ثمة ادب ينبثق من رصيد فكري
غني جمعه انساننا المعاصر عبر المائتي سنة الاخيرة اللتين
عاشهما في تاريخه ، ولقد ابدع هذا الانسان والاصح انسان
العكر الحر عن أي التزام على الرغم من أنه جعل الصلة
وثيقة بينه وبين الأرض التي يعيش عليها .. حتى النقاد
السوفييت الذين حملوا أول لواء للالتزام اخذوا اليوم
يتراجعون عن خطة المفروض عليهم فرضا عقائديا ، فبرز
كتاب انتشروا عليه امثال : الكسندر ايوش والفريد
كوبولا الالمانيين ، والكسندر فوتشو وغالب يوغسلاف ،
اليوغسلافيين على الرغم من أن هؤلاء الكتاب كانوا على
الالتزام بالعقائد نقسيا وليس بقسري ، وعلى الرغم من أن
الحكومات التي يعملون تحت ظلها منحهم فرصا جميلة
رجية المعطاء .

أما نحن فقد التزمنا « الالتزام » من حيث
اللا التزام فجاد كل ما كتبه عن طريقه وكأنه شيء منفصل
تيمانيا عن تاريخنا وإيراننا وحضارتنا ، أو كأنه التزام لفترة
سياسية وليس الإلتزام فكرا لمقيدة معينة أو اتجاه معين ،
ولا غاية في ذلك لأن ادبانا عاشوا اصدااء السياسة ،
ولم يعيشوا السياسة نفسها ، فكان لنا نتيجة لذلك
ولموامل أخرى هذا الالتزام المشوه الطرح الذي ينكره
أي التزام آخر في طلال أي حكم عقائدي عرفه تاريخنا
المعاصر .. أن أي نزوع نجده في الادب العالمي أن نسي
قديمه أو جديده نوع يحمل طابعا ذا قيمة تاريخية
وفكرية ، إلا أننا هنا قد ضلنا الطريق ورحنا في متاهات
ليس لها بداية ولا نهاية واضعة ، نرقص ضمن خطوطها
ورقصات لا هي رقصتنا الانتهائية ، ولا هي رقصات
الدعارة الواردة اليها من الخارج .. لقد ظهر في العالم
خلال السنوات الاخيرة مثلا نزوع جديد إلى القصة هو
الزوع إلى الخرافة ، بدأ في قصص الكاتب الالماني
« كورت كوستنبرغ » ثم انتقل إلى السويد فظهر فسي
قصص الكاتبة « مارينا آينبرغ » ثم انتقل إلى مناطق
أخرى في أوروبا فأحدها يظهر في سويسرا وفرنسا وإيطاليا
.. قد يكون لهذا النزوع في الاتجاه إلى الخرافة مركزه
العلمي من حيث النفسية والذهنية الأوروبية في فترة
ما بعد الحرب العالمية الثانية ، إذ من المعروف أن أوروبا
قد تمرقت بعد الحرب العالمية الثانية وظهرت هناك دول
ودويلات تحمل فيها تحملا عقدا نفسية معينة ، منها ما
كان نتيجة للانزهاز ، ومنها ما كان نتيجة للنصر ، بينما
ظل واقعا الحضاري التاريخي والجغرافي واقعا لا يتغير ،

النسبة دورا كبيرا ولتبيين ذلك أقول : أتت اعتمد في
تقييمي أي نتاج ادبي على تقامتي الواسعة ومتابعتي
تطور الادب العالمي في شتى مجالاته على قدر المستطاع ،
وحين تناول النتاج الادبي الذي هو موضوع تقدي اقيم
توازنا بينه وبين أي نتاج عالمي يقابله ، أن في القصة أو
في الشعر أو في البحث على نبيان موضوعاته ، ومن هنا
استمد مقومات تقويم النتاج بصرف النظر عن النسبة المحلية
المحلية .. أن التقويم الذي يقوم على اعتبار النسبة المحلية
ليس تقويما جديدا ذا أثر فعال في تطور النتاج المحلي .
نمثلا لا أستطيع أن أقول أن قصة فلان سخيفة بالنسبة
للمستوى العالمي إلا أنها جيدة بالنسبة لما يكتب عندها
من قصة وقس على ذلك في الشعر وفي أي مجال ادبي
آخر .. أن النقد عندي ليس عملية يمكن حصرها في
النسبة المحلية لأنه محاولة تقويم نتاج انساني أكثر منه
محاولة تقويم نتاج محلي أو فردي . وهب أن بلدا متخلفا
استطاع بعض الميكانيكيين فيه أن يصنع دراجة عادية يمكن
استعمالها واستخدامها بدلا من الدراجات المستوردة من
الخارج بيد أن السؤال الذي يطرح بعد ذلك هو : أي
قيمة لهذه الدراجة في عصر يصنع فيه الكثيرون سفنا
فضائية وصواريخ تنطلق من كوكب إلى آخر ؟ ليس من
شك في أن قيمة هذه الدراجة تبقى فسي مثل هذه
الفاصلة قيمة بدائية ، ولو أن الدراجة التي صنعناها
تعود علينا بفوائد اقتصادية وقومية جيدة .. فضع أس
قولتي أن ليس في العالم مستوى ادبي محلي ، بل هناك
مستوى ادبي عالمي هو أرقي ما استطأنا الوصول إليه
عبر قرون وأجيال عديدة من النضال الفكري ..

آراءه ونظراته في الادب والنقد :

وإذا أحسست من قلبي الاصفاء اليه مضيت فسي
الحديث معه فترامى بنا إلى ذكر ادبنا الرئيسي المعاصر
فسألته ما رأيك إذن في ادبنا المعاصر ؟
اجاب : أن ادبنا اليوم مزيج من تيارات متباينة
جاءتنا من الغرب ، وهي نزوع طبيعية للحياة السياسية
التي عشناها ، فرحبنا بسخاء عفوي بكسل التيارات
التحررية دون أن ننسب السى طابعها .. لقد رجنا
« باليتو » و « غرا بوند » وثورين غيرهما . كما
رجنا مؤخرا بعد استقلالنا « سارتر » و « كامو »
وسواهما .. أننا - في الواقع - لم نغم من التحريرين
نزوعهم التحرري بقدر ما فهمنا منهم ثورتهم التحررية ،
فكانت لنا ثورتنا المخففة في شتى ميادين الفكر .. أن
الادب العربي اليوم يجتاز مرحلة دقيقة في حياته إذ نراه
يتراجع بين تراثه الادبي وبين الاغلفة الشفافة ذات
الالوان البراقة التي اجتذبت واغوت العديد من رجالات
الادب والفكر عندنا ، فعبت فينا القوضى الفكرية التي

لدا كان لا بد للهروب من هذا الواقع ، فكان ثمة هذا النزوع الى الخرافة في القصة ، بيد أننا هنا التزمنا حتى الحرافة كبضاعة مستوردة لا علاقة لنا بها في تاريخنا القديم ، اذ نعود الى الخرافة كرمز للآعاب عن افكار معينة لم تكن احوالنا السياسية تتيح لنا فرصة الاعراب عنها بصراحة ووضوح .

ان نزوع بعض كتابنا وشعرنا الى الخرافة لا يمكن ان يعتبر الا تقليدا هو من اسفاف الالتزام الا الزامى ، والا ظاهرة لتفكك نفسى نهنا في مدهاء بين ماضينا وغدنا الذي لم تتكحل بعد اجفاننا باحلامه . .

وقبل ان نخرج عن نمط ما نحن عليه في مجتسنا الفت عليه سؤاين اخيرين شئت ان اختم بهما حديثنا فقلت :

ما رأيك في الشعر العربي الحديث ؟

اجاب بلسان الدقيق : ليس غفنا شعر عربي حديث . . ان كل ما غفنا ليس الا ومضات من ماضينا الذي كنا . . كنا حيننا على الذرى ، وكنا حيننا آخر على السفوح ، وبالإضافة الى ذلك يبدو في شعرنا العربي المعاصر تياران واضحا : احدهما التيار التقليدي للتيارات التحررية التي ملا بعض اصداها اسماعنا . كما يتميز التيار الثاني بالعودة الى النغمة المراهقة التي كانت لدى الشعوب التي انتقلت من لومها اجتماعيا مينة الى اوضاع اشتراكية من طريق هذا التغير . وكما نفنى شوقي بالرمال والاطلال وهو بين القصور والياض كذلك راح بعض الشعراء يتفنن اليوم باطلال النشورة الشيوعية عام ١٩١٨ مع العلم ان بيننا وبين ذلك المام فترة مديدة ، استطاع خلالها الدهن الانساني الجبار ان يبدع كثيرا مما نفنى اليوم في نعيمه ، فعا استطاع ايضا ان يغزو مجاهل كان غزوها في الماضي حلما بعيدا . . ان كل ذلك يعتبر سلوكا غير اصيل في ادبنا ، سلوكا تقليديا لا يرمي الى هدف معين يتعلق بواقنا ، بيومنا ، غفنا ، بكل ما نمانه من امراض اجتماعية ، وتكسبات ذهنية ، نهدف من خلال معاتنا ايها الى بناء اممة ، واستعادة ما كان لها من هرة ومجد ، والى تبوء مكان يليق بنا في المجتمع العالمي الكبير .

ثم سالت : ما الذي كان يدفك الى التقديم لبعض آثار الادباء الناشئين والتعريف به ، وما هو رأيك فيهم ؟ اجاب : ليس ثمة من يدفني ، بل كان ثمة ما يدفني . . اما هذا الشيء الذي كان يدفني فهو ضرورة تشجيع النتاج الادبي الناشئ لعل في ذلك بعض الخير بالنسبة لادبنا وذلك عن طريقين : طريق تعريف القراء بهم وطريق ترك المجال لهم لاضافة المزيد من المعرفة الى رصيدهم وبالتالي الى تطويرهم تطورا ذاتيا يمكن ان يسمو بهم الى مستوى الادب الرفيع حيث يستطيعون ان

يسموا في بناء الفكر الانساني انى كان .

فلا بد ان الناشئون عندي قيمان او قئان : ثمة يطعي على افرادها الفروع فيحسبون انهم عمالقسة في الادب والفكر فترام ينصرفون عن المطالعة الجدية ليدوروا في اقبية متاهاتهم الدالية ، وقد بلع بعض هؤلاء ذلك بسبب وسائل الاعلام الرخيصة ، غير انه لا يلبث ان يعود هباء منثورا . . وثمة أخرى لا تفر بما يكتب عنها او تجد اسماءها تتردد على اللسان ويتكرر ظهورها في الصحف والمجلات . . انها ماضية في الدرس والمطالعة التي تضيف الى رصيدها الثقافي اوصسدة جديدة تعينها في مجالها الفكرية التي لذت نفسها لها . . ولقد عرفت في حياتي الفكرية عددا غير قليل من افراد هذه الفئة كان يندفع في حماسة بالغة نحو تعلم لغة او اكثر من اللغات الاجنبية ، وهو في سن غير ميكرة ابتغاء الوقوف على قدم ثابتة في مجالات الفكر التي لا ترحم عواصفها . واحال ان افراد هذه الفئة سيكتب لهم التوفيق والنجاح والخلد ، ما داموا واقبين من انفسهم مؤمنين برسالتهم . .

شسمله لن تغبو :

ويعد . . . اوليس ثمة شعاع من نور محتوم من خلال عرمى عليكم شخصية فقيدا « اورخان مير » وتنفق الى الادب النقد . . انه عندي الشعاع الذي سيظل نيرا لرويا ما بقيت الحياة مستمرة في صمودها الحضاري . . لك الحضارة التي قدسها « اورخان » في حياتنا كما لم قدس اية ظاهرة من الظواهر المبدعة التي تجسد الحق والخير والجمال .

ولشد ما ساءلت نفسي : ترى . . اين الجامع المشترك الذي يوحد بين موقف ادبى امضى عمره يصور الحياة تصورا صادقا ، ويعبر عن وعى امته تعبيرا صادقا كذلك وبين موقفنا نحن الذين هالنا غياب هذا الادب ؟

ان ثمة فرضية نفترضها في ادبنا الغائب هي ان مجرد وجوده يؤكد ارتباطه بحياتنا فكريا وعاطفيا وان ثمة فرضية ثانية يفترضها تاريخنا الادبي المعاصر تبدو في ارتباطه به فكريا وعاطفيا كذلك . بهاتين الفرضيتين يسهل علينا استيعاب دور الادب في حياتنا وتاريخنا الادبي ، ويسمح لشاعرنا بمصاحبة هذا الدور والانطلاق منه نحو تقويمه واحلاله الحل اللائق به . . فقضيئنا ان ليست قضية اسطفاء بقدر ما هي قضية تقويم . قضية كشف من هوية كانت بالامس تحمي نفسها بالمحافظة على ارتباطها الفكرية والحياتية معا ، وامست اليوم وليس من يحميها الا ابداعها وحده الذي فرض نفسه على الحياة وما بعد الحياة ، وعلى الحاضر الذي عاش حقبة منه ، وعلى المستقبل القريب والبعيد . .

اغنية للعبد

ما لي اوى النعمة الخرساء في بصري
في دفتر العمر في دنياي في قدري
كف الزمان ولم احصد سوى ضجري
رويتها من دمي ... ماتت ولم اثر
ينمو، وعل الاماني الخضر في سفري
وحاصب الريح تدرى عزة الشجر
وربة الشعر تنزو الدمع في الفكر
في رحلة العمر غير الياس والخور
اهدبتي زهرة يزهو بها صغري
وهانها مزنة تروي صدى كبري

هادي الربيعي

يا واهب البشر والامال للبشر
ما لي اوى اللوعة السوداء جائمة
عشرون حقل جليد مقفر زرعت
عشرون بذرة احلام مجنحة
وقلت للنفس مهلا عل زهر غدي
ركبت خيل سنيني المجنحات دما
وسرت في غابة الايام مرتحلا
فهل جنيت من الاسفار يا اعلى
يا زارع الورد في ثمر الصفار وما
لا تقتل البسمة الخضراء في شفتي

بمقولة - العراق

وفاء :

الخيلاء ، ومقايح الزهو والكبر ، لم يشن طرفه عن الرقة
لم اخضع لهم الود واخصلوا له ، وذلك دليل على استواء
خلقهم ، وحسن تقويمهم ..
حينئذ ان يصير الساعة ما قاله في رثاء صديقي
له ابل فيه من نصيب قدر ما اشار به الى صديقه :

لن تقبض

ان هيولاك ستظل تتفتح مع كل برعم خير
وستبقى محتضن كل صراع ينثر المجد والبطولة
وستلوم تنبض في كل زند بيني الحياة
واذ بع صوتك في تراتيلك التي رددتها في اورقة
ممبكك الاسم ، وابتلع غيباب البخور الخضر هذه البحة
فان همسا ناعما من ندائك الملقف بالنشوة والحرارة
والتوق سيضفي ابدا يضم كل صدى مثلدنة او يماثق كل
اهتزاز ناقوس . اما رؤاك التي صيغت دماها من جبلة
باسك المشرق ومن ذوب الملك الذي تاه ، وهو يجبل
الاهة بسمة ، والانة نغمة .. رؤاك هذه ستبقى في
حطقات ديكنا عروسها التي تلهم المزمار ، تلهب الرقص،
وتلوح للفجر ان يغفر ! ..

اجل .. لن يغيب « اورخان ميسر » الذي كان
بيننا طاهر القلب ، سري الخلق ، حر الضمير ، حر
التفكير ، لان هيولاء ستظل تتفتح مع كل برعم خير ،
وستبقى محتضنة كل صراع ينثر المجد والبطولة، وستلوم
تنبض في كل زند بيني الحياة ، وفي كل فكر يسمو بها !

سعد صائب

دمشق

ليس من شك في ان « اورخان ميسر » الاديب
والناقد قد خلف لنا آثرا جمة مبنية في تنانيد الصحف
والمجلات ، استقطبت كل تجربته في الآداب والفكر
والحياة ، وامتت بكامل تعبيره الحر عن وعيه ووعي امته ،
فمن حقه علينا ان نجتمع شتاتها فنشره على الملأ لنل على
وفائنا له ، واصحابنا بالدور الذي اداءه فنصف عن امكانات
دعمت ادبا وتكونا المعاصرين ، ويمتثما على التمساء
والتجديد .. اوليست التجربة والتعبير منها بصديق
صورة من صور الحياة ؟

اوليس الحفاظ على الصورة حفاظا على الحياة
نفسا ؟

وهل ثمة اخرج منا اليوم على حياتنا ، على تكوننا ،
وبالتالي على وجودنا ؟

ان « اورخان ميسر » ما كان بالنسبة لنا شخصا ،
بل كان مناخا ، مناخا فكريا لا يروح تستمتع بجوه وما
اشبهه بالفيلسوف « رافيسون » السليبي قال عنه
« برغسون » في رثائه : « كان اقل الناس محاولة للتأثير
في الآخرين .. بيد ان روحه كانت اكثر تمردا على
على سلطان الآخرين بطريقة طبيعية هادئة قوية » ..

قد يكون « اورخان » لدى مراقبه اقل الناس تأثيرا
في الآخرين .. بيد ان روحه كانت كانت اكثر تمردا على
سلطانهم ، لانها ظلت طبيعية هادئة قوية ، ومرد ذلك الى
انه كان واسع الخلق رحبا الانانة ، صفت نفسه من شوائب

بطاقات شوق للفيطرة

وتحسني ...

اليك يا مدينة السمود ، نحيتي
فانني من ها هنا
من لفنة المغارق
اقول للرفاق في مداخل الخنادق
تكانفوا ، واطلقوا الرصاص في منابت الرمد

عزيزتي الفيطرة :

نحية وشسوق
اليك من دمشق ،
حين كل والد له ولد
في ظاهر البلد
يتنظر الانتصاره
لاجل ان تنتصر الحضاره ..

— سمعت مرة :

وانت تؤسرين يا حبيبتى —
وجيبك الحزين
ووجهك المشمس الرزين ،
مغمشا ، في قسوة ، ملقى
على الحزون ..
لكننى — انارني الانين —
فانالهم القمر ..

وبعد يا فيطرة

يا نجمة تشع في سماها المسيطره
سحابية ، تحطني ، وتبذر المطر
لنلتقي ، ويظهر القمر
عيناي تذهبان في السما اليك
كنجمتي حين ..
يا فيطيرة ..

دمشق

اسماعيل عامود

عزيزتي الفيطرة :

— نحية ، وبعد :

لئن سألت عن فتاك يا مدينتي ،
فانني ، يثبرني الحنين ..
يبدى تذهبان في السما اليك
لتمسحا جرحك التخين ..

— لئن بعدت الآن يا حبيبتى ،

وغامت الكروم خلف كومة الحجارة
لئن تعبت اليوم من كثافة الظلام
لئن تهاوت من وراء التلال والحقول
فانت تصعدين
لاجل ان تنتصر الحضاره ..

فيطرة ، حبيبتى :

يبدى من اعماق خندقي تلوح
وانت في مشابك الرصاص تؤمسين لي
وقلبك الجريح
لا ينثني يدك في خواصر النهار
يلقى كل دار
ويبتني لكل اصيد مزار ..

عزيزتي فيطرة ،

ما زلت انت ، أنت يا مدينتي ، مسيطره
لان في سمائك البعيدة القريبه
تشع لي في الافق نجمة الرجوع
يشرش النداء كالجلجوع
لان في قريمتك الكون الحزين
يا حبيبتى ..

نقشت سميت عودتي

وانت من نوافذ الصباح ، ترفيبتني ..
اجيى في مواسم الرياح

أحمد راسم الشاعر الناقد

في الذكرى العاشرة لوفاته

بقلم نقولا يوسف

اشتهر أحمد راسم - الشاعر المبالغ - العربي المصري السكندري - بشعره الفرنسي المرسل ولغذاته الفنية ، منذ فجر حياته التي انتهت في يناير ١٩٥٨ ، وشملت كتاباته عددا من النقاد في بلاده وخارجها ، وترجم بعض شعره الى العربية واليونانية ولغات اخرى (١) . . . لسم احببت مؤلفاته في مكتبات الاسكندرية بعد ان توارى من الجميع الذي كان من نجومه ، وكان قد نشر معظمها بالفرنسية ، فلم يتوغلها عسير القليل من القلمين بهذه اللغة . . .

وكان أحمد راسم لعمري من لغزات مدرسة الثقافة الفرنسية التي ظهرت بمصر وبعض الاطراف العربية الاخرى منذ اوائل القرن التاسع عشر - اي منذ ان بدأت الصلات المباشرة بفرنسا ولغتها وثقافتها في اثناء رحلة نابليون على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) وما اعطاها - في حكم محمد علي وخلفائه - من بركات تعليمية الى فرنسا ، وانشاء معاهد فرنسية في ربوع الشرق تنقل فيها عدد وافر من ابتلائه . . . وكان منهم دؤد الوهاب الادبي من عبروا في هذه اللغة التي اجادوا التعبير بها كتابا وحديثا من الماهاتم الشعرية والعصيدة وشتى فروع الادب . . . وكان نتاجهم الادبي يفيض وينوأل حتى لمستطيع انخصي في النصف الاول من القرن العشرين - من كبار النثر الى جانب مصنفاتهم الثرية النوعية الاخرى في هذه اللغة . . . وجلبها مكتوب بأسلوب بلغ شقيق - فالعروف من الشرقي موهبة في حلق اللغات الاجنبية - وبذلك كانوا سفراء الروح الشرقي العربي لدى الغربيين . . . فلما ان تركز اليوم المدارس العربية ، وتضاعف عدد المتعلمين والكتاتيب والنفراء في اللغة العربية ، والتسعت حركة الترجمة اليها ، ومنها ترجمة مؤلفات الادباء العرب المكتوبة بلغات اجنبية ، استطاع مواهبهم ان يملأوا عليها في لغتهم كما اطلع عليها ابناء اللغات الاخرى ، وكان النفع مزدوجا . . .

ولد الشاعر أحمد راسم بالاسكندرية عام ١٨٩٥ ، ونشأ فسي اسرة كبيرة تعاصرت مع بعض الاسر التركية بمصر . . . وبرز السرد منها في الفنون والاداب - مثل ابن خاله وزميل صباه - محمدمسيد - والد الفن التشكيلي (١٨٩٧ - ١٩٦٤) كما نقد نشر منها الناصب الحكومية العالية . . . وتكلم شاعرا بالمدارس الفرنسية ، ولغى العربية على اسناد خاص ، والتحق بمدرسة راسي التين الثانوية بالاسكندرية وحاز شهادة « البكالوريا » ، ثم درس القانون « بمدرسة الحقوق الفرنسية » ونال اجازتها ، وازادت اسرته ان تلحقه بولائف السلك القضائي التي تولاه لمناصب الرفيعة ، ولكنه فضل الاستغفال بالادب واللغ ، وكتب على طائفة الكتب الادبية والفلسفية والطبية . . . ثم قبل العمل في مناصب ثقافية تنقل مع نزعة الادبية حين رأت حكومات بلاده ان تنفع بمواهبه ، فوافدته بعد الحرب العالمية الاولى مضطرا لنفاقيا بالانفازات المصرية في عواصم ايطاليا واسبانيا وتشيكوسلوفاكيا . . . فكان يطعم هناك على مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية ، ويصور انطباعاتها في شعره . . . ثم عاد الى وطنه عام ١٩٢٨ فقلد منصب « السكرتير العام »

رئاسة مجلس الوزراء ، فوكلا لحكومة القاهرة فمحافظا لمندسنة السويس (١٩٤١) ثم اشترى الوظائف جميعا بعد هذه الاعمال والانتقال ، ليتفرغ للادب وحده حتى وفاته في يناير ١٩٥٨ ، ولو انه لم يجسر الادب والتمتع خلال تلك الوظائف ، ولم يلهه الادب عن القيام بمهام واجباته ، لعرف في بلاده وخارجها بوطنيته والاعتزاز بشريته وعروبته - وكان يصنع دائما مصلحة وطنه ومواهبه فوق كل اعتبار - وكان لذلك موضع تقدير المواطنين والاجانب جميعا . . .

وكان في نحو العشرين من العمر حينما نشر كتابا بالعربية سماه : « الدين والانسان » - (طبع بالاسكندرية عام ١٩١٦ - وكتب على غلافه : الجزء الاول - وضع بالفرنسية لم ترجم وروجع) . . . ووضعه في قالب حوار قصصي تتخلله صور وادساف فكهة - بين فيلسوف عادي ملحد ، وشاب روحاني مؤمن . . . ويرد في سياق المناقشة عدد من اسماء الفلاسفة وبعض النظريات الفلكية ، والآراء العلمية والتجارب الكيميائية . . . وفي النهاية يقول الشاب لثاقفه : « لثاقفي اذا العاجني المناقشة كخالفني في جميع اراءك ، فهذا لا يعني من احترام افكارك بالرغم من نفسي بالايام الذي يشترك معي فيه السواد الاظم من الناس - عليهم وحقيهم ، عالمهم وجاهلهم ، ونحن قانونون بما لدينا من الالة والبرهان على وجود الله - اذ لم يبق لآن برهان ميسر بني وجوده . وبصورة اوضح الاول لله التي ليست متصفا ، بسلبي مستعد ان اخضع لك في تغيير معتدي ان امكنت ان تقيم برهانا ناصحا على صحة دواك - لا كما طلت الليلة من احوال الاول بسلا جدوي ولا تنوح ! اكر لك قولي اني ثابت على ايماني ، فكل من ليس على شدة ذني وشعوري برهان يقبله العقل ، اصير عادي كمن »

ويعل هذا الكتابي اليك على اهتمامات هذا الادب بالوسائل الفلسفية والعلمية منذ صباه ، وايضا يترجمع الايمان والرومانية على الاتحاد واللامدة » ثم طبع اللغة العربية التي كانت تالامه منذ كتابه الاولى « طرفه مثلا بصف الشعر في هذا الكتابي بولفسه : « . . . فارقت وكنت عربة كالا الى بيتي ، متعلدا فربس رصيف البحر » كان البحر اذ ذاك ساكتا كانه مغلول عظيم انهك المنصب فاستس على ظهره يستنشق الهواء الطليل ، شاخصا بصره المسمى السمات التي اخلت زخرفها وتزينت بنوامج النجوم ، وما يحول ذلكم جمال ويهاه . وبين برهة واخرى يجري في فية الاتق شهاب فيختطف قوسا يخترق قبة الليل ، ولستين به زلفة السماء فتزداد جمالا . . . وفي العشرين ايضا كان أحمد راسم يتردد على عرس الفنان « ابرود زديري » بالاسكندرية (فيما بين ١٩١٦ - ١٩١٨) ليتعرض بان التصوير ، مع بعض اصحابه الشباب ومنهم الفنان محمود سعيد ، وابراهيم راتب ، وبساتي . . . حتى قضت ظروف بان يطلق الرمس بعد ثلاث سنوات . . .

كما بدأ يعرف الى الاوساط الادبية الاوروبية - المنشرة يومذاك بالاسكندرية - وكانت اللغة الفرنسية التي يجيدها هزة الوصل بين تلك المندتات الاوروبية المختلفة اللغات . . . ثم عرف بعض المصنف والمجلات الفرنسية ومنها مجلة « مصر الحديثة » و « الصحفية العربية الاسيوية » - فاخذ ينشر بها بواكير شعره الفرنسي الذي فسمته على مر السنين خمس عشرة مجموعة ، كانت تصدر تباعا حاملة هذه المناول : « كتاب نيسان » ١٩٢٧ و « جندي تقول ايضا » . . . ١٩٣٠ (وكانت هذه المجموعة الاخيرة ضمن كتاب نقول لم يطبع على حدة) . . . و « الائمة الاخيرة ليعوس » ١٩٣١ (وهي من وحسي مدينة براغ) و « زمبول تقول امها » ١٩٣٢ و « ملكت محاري » ١٩٣٥ و « مهول متالة » ١٩٤١ و « لسي العديقة العتقة » ١٩٤١ (وهذه الاخيرة مجموعة من سافقاتها) و « الكتي الصغير الاستاذ علي » ١٩٤٣ و « نثر لا جدوي منه » ١٩٤٩ و « ملك » ١٩٥١ و « حاسم الطائي » ١٩٥١ و « نسوال » ١٩٥٢ و « نهة » ١٩٥٣ و « سامية »



أحمد راسم

بصادق في هذه القصائد القصصية أسماء عربية كالست حنيفسة واحسان هاتم وسليمة وإقبال .. وأسماء مساجد وامانك والفساط عربية ، تتناثر في السياق الفرنسي وتنسج عليه جودا شرفيا وروحها عربيا ومرحها شيعيا صاندا عن شاعر شرقي صميم .

ويشبه الثالث الفرنسي لوسين الديبر (في مقلته التحليلية لديوان أحمد راسم : « في الحديقة الغنية » ١٩٤١) تلح هذه الروح السكندرية في شاعرها منذ نشأته الأولى في تلك البيئة الحافظة وانكاس مؤثراتها على اشعاره المبكرة بقوله : « ... وملتغا تجمع عناصر الضوء السبعة في شعاع أبش نهارا ، وتتلط على وجه الماسة الى الوان فوس فرح » وتتطلق في حزمة من الالوان لا يفضل احدها عن الآخر في لون خافت ، هكذا كان تفتح الروح السكندرية لاحمد راسم ، فان شعاع الهجة الابيض ، او ما يطلقه من العناصر الكالدة

١٩٥٤ و « يوميات مصور حائب » ١٩٥٤ و « صفح مفتارة » ج ١ - ١٩٥٤ (روجيت الاكاديمية الفرنسية بباريس هذا الكتاب الاخير في ذلك العام) ...

وكان قد أصدر عام ١٩٥٢ كتابا سماه : « عند تاجر السمك » ترجم فيه الدم مثل وحكمة عربية الى اللغة الفرنسية ، هادفا الى تعريف القريب بحكمة الشرق ..

وكتب بالفرنسية مقالات نقدية لبعض الشعراء ، وقدم ديوان الشاعرة « كوليت نيفن » ١٩٤٧ إحدى شاعرات المدرسة الفرنسية بجهر ..

وفي لقته العربية أصدر غير كتابه السالف الذكر : « الدين والانسان » ١٩١٦ - كتاب : « الحديقة المهجورة » ومسرحية « السكندر الفني » وكتابته في النقد الفني : « اللال » الذي نفذ فيه أعمال بعض الشعراء والمصورين من معاصريه مثل : الفنانين احمد صبري ، والحسني ، وصباح ... والشعراء موسكائيلي ، وفيلستر ، ودؤول بارم ... وغيرهم وبعد بهذا الكتاب من رواد النقد الفني - وكان فسي نقده يبدى آراءه الخاصة في الاتجاهات الفنية الحديثة ، وفي حركة التجديد التي لا تستعدي في مطبخ نيل التراث القديم ، وبالبافسة في محاكاة كل جديد . ومن ذلك قوله في كلمة من الصور احمد صبري : (٢) وكان في هذا مجرا عن اتجاهه في ادبه الجامع بين الجديد والتراث الشعبي ..

« .. ما من احد ينكر ان الفنية العالية استلزمت كثيرا من التطور ، فقلت مستعدتانها على كل قدم خصوصا بعد حرب سنة ١٩١٤ ، فقد شغل التجديد مختلف نواحي الحياة ، وامتد الى عوالم الثقافة من علم وفي وادب . ولكن التطور ان كان من مضمياته بسند الكمية كلية في ميدان ما ، فانه في ميدان اللون مثلا يصعب التيسل من تراث لها ساندات الاجيال المتأصلة على ابدائه ، ولقي كل جيل منها ما يزهو وزينه قوة ومثاقفة . ثم هو في القوس بسند خاف حلود الانعام والفس والوجدان ، ومجموعة الشاعر الجوده فيه ، والى بخله بالحياة ، فاب ذلك من اولئك الذين قتلوا ان في الفن نجسا لبطولة تقصونها باحداث تطور فيه ، يشبه تطورات الحضارة العالية في مثلها وسرعتها والانقلاب الذي تعده ، فهاهنا في اسكار نظرات في الفن - كل ما يمكن ان توصف به انها تجديد - ولكن على هامش الفن - اي على غير اساس من التمتع فيه والتعكن من اسراره » ..

وفي البيئة السكندرية البحرية ، بخصائصها الجمالية والاجتماعية حيث ولد احمد راسم ونشأ وتعلم ، وخالف الادباء والفنانين من شتى الانجاس ، ولفس طلوته وصياها بين اسرة شرقية متطرفة بلحوت شافريته ، وانعكست على فصاله المبكرة مثل : « وجدي تقسول ايضا .. » و « زبول تقول ايضا .. » و « احمد بول .. » - وكلها تصور طلوته ، وكانت جدته هذه جركسية حسنة تسمى « رنججيل » - كلمة تركية تعني لون الورد - يهدي اليها ديوانه « كتاب نيسان » ١٩٢٧ بقوله : « الى جدي رنججيل - من كانت جميلة ونحب صور المسب ، ومن تقوي الان يدها الميوزان في سلام الله . » وانما زبول فاسم خادمة الاسرة الميوز - واحمد هو الشاعر الصبي .. ثم

(١) ترجم له الياس ابر شكة وعطوس الرامي والبر ادب عدة رسائل (مجلة الادب ١٩٤٢ و ١٩٤٣) و ترجمت الشاعرة اليونانية السكندرية البرابيت بيلراس بعد عشرين قصيدة لاحد راسم من الفرنسية الى اليونانية في مجموعتها « الزمر القريب » ١٩٥٤ . (٢) مجلة الهلال فبراير ١٩٤٨ - (٣) شعراء بجهر لبنان مسكائيلي (٤) السكندرية ١٩٥٥ من ٥٥ - ٦٥ - (٥) المجلة الجديدة بالقاهرة ديسمبر ١٩٤١ مقالة لطيف متري .. وللدكتور زكي المحاسني مقالته عن احمد راسم بالادب ١٩٦٤ .

بوع

أيا همسة الصبح فوق الندى
تفنى الشروق أغاني المدى
وتشر عطر زهور الحياة
كعب عميق كوقع الصدى
فتشدو للحن العطاء المتير
وتهجو لجرس بهي يدا
وتحضر لمح النهار لحسن
لسحر جميل العاني شدا
أيا همسة الصبح هام خيالي
ولم تفنى ذكرى نهارى سدى

محمد خالد رمضان

سورية

والمراد .. وليس هذا الشعر مصرى يصوره الزيلفة فحسب ، بل
أشيا بالتوقيع المقيم ، وبالتالى والعلمية ، وبالتالى الترجمة السلي
فرنسية طارئة .. ذات بساطة وجلاء .. ما يحتلج اليه الفرح الأجنبية.
وكانت رحلات راسم في ربيع أوروبا وإقامته للعمل في رؤوسه
ومعبره ويرجع في محله .. جديدا اليهم عددا من القصائد الجديدة .. فمن
زحى الساتية كلب .. الجويلية ، موزة القزبية ، الجولان ، السيرة ،
صورة .. الطريق .. ناسك أسبانيا ، أولاد .. ومن براغ : إيسن
اسب : ٢٢ لعب الصفر ، أمواج ، أولي ، وداع ، في الكنيسة ،
الاسماء الأخيرة لسوع ..

زبيل راسم .. في جل قصائده الفرنسية .. إلى أساليب
الشعر المرسل ، والشعر الحر ، والشعر المنثور .. ولم يتقيد كثيرا
بالقوافي والنظم العمودي .. وخرج بعض قصائده فسي شكل مقالات
وقصص شعرية ، تنقطع سطورها وترتبط بوحدة المعنى .. وتنجسه
دائما إلى الابتكار في الفكرة والأسلوب ..

وشعره .. من وجهة عامة .. متشعور معاظفة متولية ، وخيصال
لحلي لا يشفت ولا يجمع ، ولا يفوح في الإبهام والغموض .. وسكرته
دعامة رفيعة .. وفوقه لا يسف ولا يتماجن .. وصورة : الإنسان في
دروب حياته وعمله وكفاحه ، في الطريق والدكان والعبد والبيت
والخلي وفي العقل والصحراء .. وإينما كان ..

ولهذا فشره الفرنسي إذا ما ترجم إلى العربية لا يلفد موسيقيته
وعنائه ..

» .. يقول الكاتب الفرنسي كلود المان في كتابه : « النهضة
العصرية » (٤) أن مفرانا شاعر مصرى أدخل في العربية أسلوبا وأفكارا
غربية ، كما أن أحمد راسم أدخل في الفرنسية طائفة من التشبيهات
والاستعارات والكتابات .. بل لقد استحدث أسلوبا جديدا في الأدب
الفرنسي .. أما أسلوبه الأدبي فهو أسلوب الشاعر الذي يوز القلب
والعقل معا .. فهو لا يتحدث إلى القارئ بغياله وإلهاماته ، ويتحدث
إلى العقل بمعنى تفكيره الخاص ، وبمنطقه القائم على الاستنتاج ..
وقد قدم له حين كتابته من التنبؤ إلى أحمد راسم بهذه الكلمة :
هذا الكتاب أقدمه ذكرى لشعركم المعاني » .

نقولا يوسف

الاستكتمرية

لشعر الحب ، ينتشر على العود مثل مرحلة من الصور المتألفة .. كما
كان هذا الروح ببيت من سلاطة قال نساظما طويلا لا يتلون الحياة إلا
فيما يدور داخلهم في أعماق القصور الزدوجة الزواج : « بالشرقيات »
العربية العرازة ، وبالسماج الكثيف الرصع باليسمين التراخي . هي
نافذة تزيد الفتوف لقل على القلب المكثف .. ثم لا يلبث حبيسد
البرجيجيل ، أن يبلغ عهدا تبعا فيه الصبا حوله في استرجاع الحريات
البرية والعارة من الحياة القزبية .. ومن ثم فإن « الأشعار القديمة »
لستقل بالحقين في رقة وفي وقت يتناق في الحب المرافق .. « II
ثم شب الشابي ، وعرف الحياة ، وعرف الحب .. وزادت معرفته
ببلاده وبما وراء بلاده .. وتدفقت أشعاره من نتائج الإنسانية جيمعا
ومن وحى بلاده كتب شرات القصائد ونرى في مجموعة سجلها :
« أشعار من مصر » قصائد لحنل هذه العناوين : السابفة ، سلمت
حماري (خلال دغل من الخليل) ، الجار الفخير ، لهد الحزين ، مرناة ،
الغد رقم ٢٢٢ ، حاتم الخاني ، وأبور الزلف ، مسكن واحد ،
التكسي رقم ٢٩٠ .. ويستوحى قصيدته أو قصته الشعرية :
« مهول متاف » من جبل متاف بالوسوس ، وبطها زاهد بفرب فسي
الصعراء ويسكن كوخا حقيقا مع ذكريات حبيبته الغائبة .. (على طريقة
ميتون ليلى) ...

وفي داي الشاعر جان موسكالي (في تقديمه لختارات من شعر
أحمد راسم في « مجموعة : « شعراء من مصر » ١٩٥٥ (٢) :
« أحمد راسم أكثر الشعراء مصرية بين من كتبوا بالفرنسية »
واكثرهم شهرة وشعبية .. وإن لقره ليكتشف في مؤلفاته المتعددة حسن
بواطن بلاده ، حيث لم يتغن سواء من ليل بشر ظواهرها ، وكان عليه
كيما يوفق بين أراء القدماء والمعاصرين ، في تنازعها العالم .. أن يقدم
منها مزيجا معقول المتألق أو كما يقول إيليان فينيير : مزيجا من المتألف
الإسلامية الرفيعة ، ومن ثقافة الغرب الأقل شخافية .. وهو السلي
جانب عمله الشعرية جمع الدل مثل غري رجحها إلى الفرنسية ، وقام
بهذا العمل في ليرة وثقة ، وأدري في عشاق الأدب التي السلي
به في بلاده .. وإذا كان شعر أحمد راسم يدعى « فينيير » بتفصير
فيليب سوبولت (الشاعر الفرنسي) فالأزواج أن في شعر راسم شرقية
تذكر معاصف الشيرازي والغياص مع فربي أنها تزودا مقراءة الشعراء
السرياليين نيازي ! »

وكان الناقد الفرنسي إيليان فينيير كتب مقدمة تحليلية لدواون
أحمد راسم السلي « كتاب نيسان » ١٩٢٧ وما جاء بها :
« كان ذلك فيما ذكرى نتاجية المكس بالاستكتمرية في البيت الأدبي
النفرد الذي سكنه الشاعر هنري نويل .. حين سألني هذا الشاعر
مرة : « هل تعرف أحمد راسم ؟ ألم تتلق به لقد ؟ يا له من تظلمة
بدية ! » .. لقد عرفت راسم بعد ذلك ، والحق أن له فامة من
أزود فامات بلاده ، فوام مبتولى كحمدي اللطلات التي لعب بفساف
الليل .. غير أن هناك ما هو أكثر ، فقد تراءت التظلة إلى ما هو أبعد
من جسمها ، وإلى ما هو أعمق من روحها ، وأصمت سمع فحسب ..
وسعوت إلى مصنع عجيب تدور فيه آلة التكرير ، وانطلقت الحياة
الداخلية منها هذا الغالب .. وصدرت هذه المعاظفة المتظومة مباشرة
من هذا الجعد .. »

ويؤلف في شعره : « إن هذه الغنائية (الليونية) في استمداد
مادتها من الطبيعة ، لم تعتمد على الإخيلة وبداعي الخالي ، فلان ترسم
الخطى القديمة طاهر متعدد .. وهناك غاية في البحث والتنقيب ..
وكانما هناك سارية هوائية .. تتلمس وتلتفت الفا من المكتبات .. ثم
هذا الزيج من التناقضين الإسلامي والقرية .. فهنا تياران مزدوجان
استطاعا مزج قواهما المتضادة في حلق وهارة ، والتفتل فسي أرض
عقيمة .. لم اليك ما هو أجمل .. فهنا شعر عطفي مطبوع يسرورج
الشعب .. هو السهام في « المولكفور » المصري .. وهنا يسير الجوء
وهنا حرارة معودة ، وأريج خاص يسري في كل الأساطير ، وسبساء
معينة ، ونهر مغفل .. وليس هنا نقش زخرفي خارج عن نطاق المكان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

الصواب لا يخفى

رأيتُه ساهما حائرا كأنما هوئته في صحراء لا بداية لها ولا نهاية ، وقد افلقت في وجهه المسالك ، وسدت بين يديه مسارب النجاة ، فقلت له : ماذا بك ؟ أن وجهك يوشك أن يكون صفحة قائمة ، يقرأ فيها من يشاهدك آلام الناس جميعا ، ومصائب الدهر كاملة غير منقوصة ، فماذا نزل بك .. أخبرني .

فقال : ومالي لا أكون كذلك وقد أضمت كل أمل ، وفقدت كل رجاء ، ولم يعد لي أي مطعم فيما يتطلع إليه الناس من مفاجآت .. قلت : وكيف كان ذلك ؟

فقال : أنه كان لي من الطموح ما لا حدود له ، وقد حملني على أن أضرب في آفاق الأرض سبعا وراء الكعبة وأنا أطمح أن أعود بعقل ما عاد به أسوء من العاقلين الذين حالفهم النجاح والفوز ، فمادرا إلى السعة والرخاء ..

وتنقلت في مختلف الأفاق ، وكان حليفي أينما توجهت أن أجد الأبواب موصدة ، على نحو يدعو إلى العجب ، ويشير الدهشة ، فكانما أعلن القدر في وجهي حربه الشمواء ، بل كأنما توأسى هؤلاء الذين انصلت بهم جميعا بأن لا يسموا بين يدي مجالا ..

وعلت : يا أخي - ادراجي ، بعد أن اعيتني الحيلة ، ولم أترك طريقا إلا سلكته وأنا صفر اليدين من كل شيء ..

علت لكي أنزوي في مقر دائري ، وقد خمدت في نفسي كل نشاط ، وخبا فيها كل طموح فهل تريدني بمد ذلك كله أن أفعل غير هذا ؟

قلت : أنك حر فيما تفعله ، وليس لي سلطان عليك ، لكي أحملك على ما أبتغي ولكني أريد أن أذكرك بحكمة مأثورة من « تولستوي » يعمل فيها :

« أن الشيء المزعج حقاً ليس هو الموت ، وإنما هو الحياة التي لا تصحبها آمال فتلك في عرف الناس حياة يشعأ هي في الحقيقة والواقع شر من الموت .. »

ذلك ما أذكرك به .. وبمدها - يا أعزك الله - لك أن تمضي في غلوائك إلى ما لا نهاية ، ولك - أن شئت - كذلك أن تربت في الأمر ، فتنتظر إلى ما حولك ، لتسرى على مقربة منك ، وفي كل منحنى تتجه إليه ، بوادر الأمل

وطائم الاستبشار .

اجل .. لك أن تتخير أحد السبيلين ، فتسلكه لا تتحار عنه ، ولكن عليك أن تفكر ذلك قبل أن تفعل ذلك ، أن الصواب لا يخفى على ذي عينين ..

أنه الشيطان

قال وهو ينظر إلى نظرة التحدي والاستعزاز : من هو ذلك الذي لا يحبه أحد ؟

قلت : يا سبحان الله .. كاني بك قد تلبستك روح معلم ، فتوهمتني أحد طلابك فجئت تخبرني لتحكم علي . اجل كاني بك هذا شأنك ، وانت تسألني متحديا مستثيرا ، مثل سؤالك هذا ، وما أدري كيف أدلك على ذلك الذي لا يحبه أحد !! .. ألا ترى معي أنه الشيطان ، وليس أحد عداه !! ..

وابتسم صاحبي ، وتبثت في وجهه بشائر النبطة ، وكانما هو يمسك بي متلبسا بجريمة (الفشي) في الامتحان ، ثم جعل يهر رأسه ذات اليمين وذات الشمال ، وهو يقول : كلا .. كلا .. ليس هو الشيطان ، أن هذا تمثيل حقيق .. ما أدري كيف يجري على لسانك !! .. لماذا لا تقول :

أن الذي لا يحبه أحد ، هو ذلك المتعالم ، الذي يسير في الطريق ، وهو يوشك أن لا يتسع له ، فروا عنه كخيل لا تمير لا يرى إلا نفسه ، يتحدث عنها ما اسع إليه القليل بقوله : يتسع هذا المجال بين يديه ، أوجده لتسعة اقتباطا وتحديا ، فافتحم على كل متحدث ، بسكته وبشفه رابه ، وبملو عليه بصوته الجهوري ليتشقق بالحديث عن نفسه وعن نفسه دون سواها ، وأنه لا يفرغ من هذا الحديث أبدا . وأما جلائل أعماله ، وأمجاده التي لا نهاية لها ، فتلك التي لا يتسع لها حديثه مهما طال وتشعب ..

والويل كل الويل لمن يتعرض على ذلك ، أو يتسائل فيه عن بداية أو نهاية . أنه أذن يلبس من صفات اللطم ما لا يحصيه عد ، ولا يحيط به حصر ، ولا يدخل فسي حسان !!

وأذا سألته سائل عن زيد أو عبيد .. وإذا ما سألته سائل عن ذلك ، رأيته يغضب بالحديث كالوج الصاخب لبيب من معانيه ما يذهل سائله ويشير دهشته .

ذاك - يا أعزك الله - هو الذي لا يحبه أحد ، لأنه لا يحب أحدا غير نفسه ولا يجد في الناس رجلا يستحق أن يذكر بحدها ، بل لا يجد فيهم رجلا ، لا يلصق به هيبا ، أو يتكرر له علة .. !!

قلت : ومثل هذا جذير أن تسميه بين الناس شيطانا ، ما دام لا يجد في من يمازهم موصفا للخير . وهل كان (شياطين العرب) ألا أناسا أشرارا ؟

بين الامس واليوم

يعطر الشواطئ الزرقاء
والقصب العالم بالفرش والسكون
واليوم بعد ان مضت عشرون
سود ، وشامت الفنون
اذك في سجون
يقطينا المشوه الحزين
ذابلة ياكل قلبك الذباب
ضائعة العينين
في لبحج السراب
تدوس تاجك الملعب القديم
قوافل المسافرين
كانما لم تكن الدروب
حالية تفري بان يموت
فيها السعيد والمطرب الكتيب

رضوان عقل

دمشق

بالامس كنت وردة حمراء
ضاحكة في ربوة النقاء
يهفو اليك الحب والى جاء
والامل البريء والفضياء
وكننت تحت زرقاة السماء
في اول الربيع
مورد وجد دائم الصفاء
للطير والانسام والمياه
والحياء !
بالامس كنت في قم النجوم
اغنية تجاوب الافكار
تفتح الف باب مستحيل
في ظلمات الليل
كنت شرابا ابيها جميل
يعطر في بحيرة الحون
وحولك الفنون

يستحيون ولم يفكروا / ولم يولوا الادبار حتى تسافطوا
تياما وهم يحمدون الله على نعمة الشهادة .

بذلك حدثني قادم من هناك ، وكان شديد
الاعجاب بما رآه عندهم من اكبارهم للشهداء ، انهم هناك
هم الابطال ، ولا بطولة لاحد سواهم ، وان من عداهم
زاملهم في الطريق ، ولكنهم لم يصلوا الغاية التي
وصلوا اليها . .

ان الذين حرروا الجزائر هم اولئك الابطال ، وان ما
سوف يخطه التاريخ من امجاد الجزائر سوف يكون
عنوانه المشرق ، ما دونوه هم بدمائهم الطاهرة ، وارواحهم
الزكية ، وان ابرز ما في كل كتاب عنوانه .

وان فردوسنا المقتصب في فلسطين ، ان يبيده
الى اصحابه غير ابطال مغامرين مثل اولئك الابطال ،
وسوف يكون لهم هناك مكان فسبح بترقبهم في صفحات
التاريخ ، ليتسع فيه المدى ليسطر امجادهم وبطولاتهم
المرتقبة ، يهد لنا طريق المودة ، ويرد المشردين الى
وطنهم المقتصب . .

نهل يبعد عنا كثيرا ذلك اليوم الذي نطالبهم فيه ،
فتبهرونا منهم جلائل الاعمال ؟ ترى هل يمتد بنا الزمان
كثيرا . . وهل يطول لنا الانتظار ؟!

محمد سليم رشيدان

عمان - الاردن

فقال وكانما ارضاه تاويلي : ان تجب الودك فلك
فانت لم تخفي . .

اليوم المنتظر . .

يا اخي القاري ، انها اسماء غريبة من نوع ما الفنا من
مثله ، ولا تردد على الشفاه بيننا ، فتخيل - ان شئت -
متحدثا يقول لك : « عيروش . . زيفود . . ديدوش . .
المهدي » !!

تخيل متحدثا يلقي في سمعك مثل هذه الاسماء ،
اتراك تعرف شيئا منها . . ؟ اتراك تجد في ذهنك ما
يلدرك بحدثة من التاريخ ، او مشهد من المشاهد ، او
خبر من الاخبار ؟! اجل . . انك لا تذكر شيئا من ذلك ،
ومن اين لك ان تذكره ؟ انها كلام جديد عليك ، وانها
اسماء لم تطرق سمعك من غير شك . . !!

ولكنك لو كنت هناك . . لو كنت في الجزائر . .
في الريف . . في القرية . . في الجبل . . في المدينة . .
في اي مكان من النجوم الى النجوم ، ومن شاطئ البحر
الى اصمق الصحراء . . لو كنت هناك في الجزائر ، لسمعت
عن هذه الاسماء العجب العجيب ، ولسمعت من الصغير
والكبير ، ولسمعت من القاصي والبعدي ، ولسمعت من
الرجل والمرأة . . انهم بعض ابطال الجزائر ، الذين
دوخوا المستعمر ، واذاقوه من الهوال ضروبا ، ولم

القلوع الشاردة

احلامه احلام من يمشي بلا اقدام
لساحة الاعدام
تممكت في دربه القشوم
رقط الثماين
اشمعال تنسين
ترفر بالسوم ..

وفي المدى البعيد انشر القلوع
الوانها الاشواق والدموع
لدارنا الحبيبة تزينها الحسان
يغزلن اغنيات
بسيطة المصان
وتحت اقدام التوافد الكثيره
متكا الورود والطنافس الوثيره
تنحل عقدة الظلام
وترقص الانوار في اختصام
ويصفر الصغار في اصفاء ناسكين
والجد ذاك البشر الجني في حنان
يزده او يوعد او بهما كالفصول
بصونه الفارغ كالطبول
الشيخ صليق ما يقول
الشيخ قد صدق ما يقول
حكاية طليقة العنان
يعزق السعال
قلوعها الواهية الحبال ..

عيساي تبهران ..
توجان طلعة الاثير ترقبان
الوجه المطراء فلذة الصبير
تظفر شعرها الذهب الوثير
انامل السحر
حاملة عوليس عائدا جناح عنفوان
وقلبه مجرّبا اغان
ووجهه بحيرة امواجها جمان
بشراك يا زمان
بشراك يا صديقتي حنان
الفجر القحوان
على دروب الجد والنضال والطمان

عيساي تبهران لا شراع
ورحلتني كم الف عام في ضياع
وزورقي ، ضاقت به الشواطئ السوداء
تغوله مغالب الفناء
حيث خطى المنون
تسبف في جنون ...

من ذلك الرمان
مدننا بالشهد والاحزان
شابت على قيثارة الاغان
يستنزف التجوال والرحيل
بقية من عمره الثقيل
ممانقا في لهف مرنج الشراع
عناق مثقل الذنوب
تعويذة المصلوب
في حلبة النزاع ! ..

وهكذا ، عيساي تبهران
والشوق يا للشوق كالبركان
بعد جسرا رائغ البنيان
ما اطول الجسور عنده ، ما اقصر الجسور
الخافق المجنون يستخف بالجسور
احسه في ثورة يطير
يعزق الصلوع
عاصفة ما اضعف القلوع !
السنة من الالهب في اشتعال
شينا غريبا لا يحده خيال
وكيف لي ، خمرية الخالين
يا ثرارة الفتات -
ان انقل الخفقات
بالحبر والقلم
فتولد الكلمات
باهتة بلا حياة !! ..

في لجة السعير
تفنى بقايا احرفي ، في لجة السعير
وقلبي الاسمير
يقنت بالقصائد الجوفاء
في عالم الخمر والاماء

ليس في وسع أحد ان يعرف مصير مربات القمامة التي تطوف في اول النهار شوارع إحدى ضواحي القاهرة . قلة قليلة من الناس يعرفون بالضبط هذا المصير ، حيث ينتهي تطوافها في أقصى المدينة عند الخط الفاصل بين الحضر بصخبه وضجيجيه والريف بمفاته وهدونه . ونادرا ما يدور في خلد المرء سؤال عن مصير القمامة ، وإذا سألوا عن ذلك يقولون ان هناك استفادة ما منها ولو انهم لا يعرفون في الغالب على نوع هذه الاستفادة وكيفيتها . لكن القمامة تشغل اهتمام انفراد قلائل ، ويمدونها بمصدر زرقهم ، ففي المستودع ينتظر خمسة افراد .. وان شئت الدقة ستة افراد ، اذا ادخلنا المعلم ابو دومة في زميرهم .. ينتظرون وصول الطابور اليومي في مطلع النهار حيث يبدأ عملهم وهو فرز الاوراق والخرق ونقطع الزواج المتكررة وفصل كل نوع على حدة ، وإعدام الباقي .. وما أسهل التخلص من النفايات المتبقية . المستودع عبارة عن أرض خلاء مسورة يخضب قديم ، ويه مأكينة تقوم بتخليص النفايات المستلفة من الاتربة ، ولو ان المأكينة تصر على اثار الاتربة والغبار مما يجعل الوقوف في المستودع امرا بالسخ الصعبة .. فالغبار يركم الانوف ، علاوة على كونه مرصا خصبيا لمرض ذات الرئة . يتحمل عمال المستودع هذا الجو الخائف ، وهم وحدهم القادرين على المكث داخل المستودع طول النهار دون ان يشكوا او يتزعجوا .

يقف حاسد السكان امام المأكينة ، وهو وحده المسؤول عن تشييلها . وقد لقبوه بالسكان لانه غالبا ما يكون في حالة غير طبيعية ، ولو أنه لم يتعاط الخمر لضيق ذات اليد . وهو في الثلاثين من عمره ، يرتدي سروالا ليس من الممكن التعرف على لونه الاصلي بسبب

الاتربة العالقة به ، والتي تراكمت فوق بعضها وكونت لونا آخر قاتما . ويصر حامد على ارتداء قميص مشجر ، كما يصر على ان يظل الزرار الملوي مفتوحا حتى يسمح لشعيرات صدره الكثيفة ان تتعرض للهواء ، ولو انه غير نقي . وهو مفتول المضل وبعد اقواهم جسديا ، الا ان حالة الهباح التي يكون عليها احيانا تجعل قوته الجسدية بلا معنى او اهمية ، كما انه لا يحاول استغلال هذه القوة في شيء ، او هو لم يدر في خلد مثل هذا الامر . تساعده « سكينه » في تشييل المأكينة ، فهي تقوم بوضع القمامة - خامة المأكينة - في فتحة



بقلم حسني سيد لبيب

مخروطية اعلى المأكينة . وسكينه هي الفتاة الوحيدة في هذا المستودع ، ومفان جسدا لا تخفى على احد ، ولم يحدث ان طمع احدهم فيها ، الا انهم لا يمنعون شغافهم من المصصة ، وصدورهم من التأوه . كما انه اصبح معروفا لدى الجميع ان فاروق النمر هو مربسها المنتظر . وقد اشبع ذلك منذ سنوات ولم يتم هذا الزواج حتى الآن ، كما انهم لم يحاولوا ان يستمروا عن السبب .. فهم غالبا يتناسون ان الزواج لم يتم ، ويعدون



ماروق زوجا لها . وهذا الزوج المتعارف عليه شاب هادئ ، ودائما يستنفر هذا العمل ويعتقه ، وكثيرا ما تمرد عليه وتغيب ، لكنه يرجع ثانية لما يجد ان المستودع هو المصدر الوحيد لقوته اليومي . صادفت سكينه هوى في قواده ، وصارت املا يداعب خياله ، ولما خشي على الامل اشاع بينهم انه سيتزوجها ، فاستقبلوا الخبر بهدوء .. وحين سألوه عن موعد الزواج ، اكد لهم انه سيتم في القريب وقتما بتدبير المهر المناسب . أصبح المهر مشكلة لا يقدر على حلها ، فبالا ان لم يتدبر منه قرشا واحدا . عرف المعلم ابو دومة هذه العلاقة من النمر نفسه ، لكنه لم يمررها اهتمامه .

اما عليوة ، فهو رجل صاحب مزاج كما يصف نفسه . وله نظرة لا انسانية تسف اسفاها مشيئا ، وكان مينييه جمرنا نار متوهجتان . سماء مكتنزتان ، وله شارب كث يكمل الصورة الكلبية لوجهه ، علاوة على فكيه البازرين .

واخيرا ، شحانة ... ودائما يجيء ترتيبه في آخر الدور ، وهو لا يحق في هذا الوضع ، ولا يطعم في غيره ، لانه لا يفقه هذا او ذاك ، او يعي واقمه تماما .. له عالم خاص يبتنيه في خياله ، كثير الضحك ، نادر الاكتئاب ، صاحب القول ، هادئ الفقل .. ويعتبره العمال شخصية هزلية تفرى عن افتدتهم مشاق العمل ، وقيل ان المعلم وجده واقدا بجسموار قضبان السكة الحديدية فالحقه بالمستودع كعامل يرضى بالقليل . ولم يكن من الهين تنويره بما يجب ان يفعل ، وكثيرا ما صغفه السكان على وجهه ، وقذفه عليوة بشتائم مخزرة تتمدها الى ابويه واجدادهم الافاقين . لكن الامر يزداد تعقيدا حين يشك حامد في تأثره بصغفاته القوية ، ويشك عليوة في تأثره بشتائمها

القبحة « فيزيدهما هذا الشك صغما وشتما ، وتزداد ضراوتهما . ثم القيا هذا الوضع ، وشجعه بالطبع المعلم ايسو دومة ، وبالنسبة بغيره - أي شحاتة - مصدر قوة لهما فهما في لحظات سرورهما يتسلقان بغيره وشتمه ، وفسي لحظات غضبهما يعرجان عن كرههما بالضرب والشتم أيضا .

✽

زهرير اغسطس يفسر من طابعهم ، فيكونون أكثر ضراوة وشراسة ، وأحيانا يتقبلون قطعا طبيعة تتكلم في هوس غير مسموع ، ويبدو على وجوههم الإعياء والسقم . آثار الجدري على وجه علوية الكلبى تعطي للكآبة معنى آخر أخصب يصيب المرء بالقياس . وهو في قسوته وضراوته أكثر ملاسة مع خلقته الناشئة . أما حين يتباهى الهم والكآبة ، فإنه يتحول الى إنسان هزيل مستكين . لا شيء يستثير العمال ، فالجو الغامق مع الأتربة المنتشرة فيه على الدوام يجعل العمل نوعا من البطولة . حتى تصرفات شحاتة المأجدة تميز عن جلب الانتباه . وسكينة بعينها السوداوين التجلاويين لا تبث في النفوس أملا أو تبهت في الروح همة ، كما أن أروافها المكتنزة والتي تبرد في وضوح عندما تنحني أو تقسم الفرصاء ، لا تستثير شموانهم . لم يعبأ علوية بشيء مما حوله ، ارتكن على الجدار الخشبي وأنهمك في لف سيجارة ، ثم أخذ يدخنها في هدوء واستكانة - قال له حامد :

- يحلو المزاج الآن ، في هذه النار المحرقة ! ..
اجابه علوية بنظرة شذراء .
ويبدو أن شحاتة هو اسعدهم حالا ، فقد انسل من بينهم ومضى الى التربة التي لا تبعد كثيرا عن المستودع . يلتذ شحاتة بسخرية النسوة اللاتي ينظفن اللابس ويجلون الواعين . يضحك في مجون حتى

يكاد يشرق ، والنسوة يجهل تماما سبب استجانه وانسباط اربيعته ، فهن يويخنه ويستهنزن منه ، وكثيرا ما تتناول ابدنه فيعملن على ابدانه بيئا هو يستكين لهن ولا تند عنه دمة واحدة ، أو صرخة شيق ، أو حتى كلمة استنكار واحدة . وإنما يجابه افعا لهن مثلما يجابه الحياة برمتها ، بالفضح المتواصل . وحين يضحك ، يصر على اقتراش الأرض ، ربما تواضعا ، أو تحقيرا لنفسه الإنسان وما تبديه من مشاعر فجأة متعرجة ، أو ربما يجد في الفضح عبادة ينقرب بها الى الناس . وليس مهما التمليل ، لانه ان يؤدي الى نتيجة مرضية . كما أنه من السخف ان تكون تصرفاته مثار جمل ونقاش ، فصاحبها نفسه لا يوليها أدنى اهتمام .

يستحم شحاتة في التربة بكامل ملابسه ، وهي ليست بكثيرة كما يترأى للذهن . فهو يتجلبب بجلباب له فتحات ، الأولى للصدر وتحتد من أعلى الى أسفل ظهره ، والثانية لجلب غير موجود . والجلباب هو كل ما يمتلك من ملابس . وأحيانا يتخلل منه بعضا من الوقت ، فلا الرجال يصيرون ذلك اهتماما ، ولا النساء يتخرجن من جسده العريان ، أما الأطفال فيتمنون النظر فيه كذمية لا تبث الهجة في نفوسهم ، وان كانت تستميلهم الى التساؤل والحيرة والغموض .

يقف المعلم أبو دومة بجلباب ناصع البياض ، يمسك طرفه بيده في رهو وشموخ . انطلق صوته الجهوري :

- أهذا شعل ؟ لا نشاط ولا همة . اهذه قعدة يا علوية . يا أبو فراج قطران ؟ . واين شحاتة ؟ . ردت سكينة : ذهب الى التربة . يستحم ، ويفضل للنسوان الملابس واللواعين . والتي يا معلم باين عليه فاهم حاجات . لكنه يتلام امامنا ، يتهاى لي انه ناصح . قال السكران : ماذا تقصدين ؟ .

والله يا معلم ما يساوي شيئا . أتت رافت بحاله والثواب عند الله . إنما يعني شحاتة من غسير عقل ولا كياسة ، ولا حتى بفهم حاجة . اليس كذلك يا معلم ؟
جال بعينيه فسي الوجه وقال نيرة قوية :

- اليس كذلك يا جماعة ؟ . شد علوية النفس الاخير من عقب السجارة ثم القاه على الأرض ، وأهال عليه التراب . . وقال :

- مقول يا سكران . ولما احس المعلم ان الموقف كساد بفلت من زمامه ويتحول الى سقطة قد تضر بهيبته ، عاد يزعمق من جديد :

- انا احب النخل الجاد . مطلوب منكم عشرة اكياس ورق في آخر اليوم .

رفع فاروق صوته محتجا :
- هذا كثير يا معلم .
وههمم الباقون بالعبارة ذاتها . وكانت الفرصة للمعلم كي يثبت قوته ويؤكد سيطرته ، فرفع عقبرته في انفعال :

- انا قلت كلمسة ، وضروي بعني .

فصعدوا لكلمته ولم يعترض احدا ولو ان علوية ساخط ومتبرم ، لكنه لم يتعوه شيء .
اطمان المعلم الى ان كلمته مستنفذ ، فهدأت نوره ، وخرج . لكنه لم يكن راضيا ، فقد تصدع رأسه من هذا الحر الانع ، ومن زعيقه الذي كان في غير موضعه . هروا الى المقهى التي تجابه المستودع ، وجلس في الظل على كرسي من القش ، وطلب « البوري » « فهو وحده الكفيل باصلاح كل شيء .

تقلب سكينة في الأوراق بيد متعبة ، والقيظ يلهب جسمها بسيطا من نار ، فينتابها اعياء وملل . تحاول ان تتحامل . صورة اكرام القلمة امامها لا تبث على الارتياح . بدأت تضيق من منظرها

الكليب . حاولت ان تمضى عينها وتحلم بأشياء أخرى جميلة ، بينما بداها تمبشان في القمامة . ولما تمت ، فتحت عينها . لحب ورقة حصراء . حملت فيها جيذا . انها جنينة !

عم القرح كيانها كله ، وندت عنها صبحيات محموعة :

– جبيه .. جبيه .. جبيه ..
واخذت تقلب الورقة الخضراء وتلوف بها . ترك الجميع عملهم والتعوا حولها . حلق علبوة نسي الورقة ، ولما ناكذ منها قبض بيده العليظة على مصمصها . لكه فاروق ، فانهارت قواه ، وتخاذل عما كان ينتويه ، وقال في صوت واهن :

– تقسم الجنيه .. نحن خمسة ، كل واحد يخصه ريال .
وأردف السكران موافقا :

– وطبعا شحانة لن يأخذ مليما واحدا .

صرخت سكيته :

– انا عثرت عليه ، انه لي ..
رماها فاروق بنظره عتاب ، وقال :
– تقسمه مناصفة انا وانت ..
ووافقت سكيته ، بينما السكران وهنيوة يتمرران فيظا ، وكان الموقف دقيقا بالنسبة لهما . اتمرت سكيته على جنبيه بالكامل ولا يخصهم شيئا ؟ .. حامد يهز علبوة من كعبه :

– اسكت ؟ .. امقول هذا ؟ ..
نخرج من المولد بلا حمص . وانت يا فاروق ، نرضى المناصفة . ونحن لا يخصنا شيء .. يعني لاجل اناك رجلها ، توافق على اعطائك نصفه .. نحن هنا عمال ، زملاء .. نعمل ونعصب .. واخي رزق ، هو رزقنا كلها .

ارتكن علبوة الى الجدار الخشبي وقال في حزم :

– انا يخصني ريال .. والا سابلغ المعلم .
وأخرج سيجارة . فرماه السكران بنظرة مؤنية ثم قال في ضيق :

– وانت فاكرو ان المعلم سيعطيك ريالا ؟ ..

ولما سمع فاروق كلمة « المعلم » انتفض في دعر وصاح :

– لا .. المعلم يأخذ الجنيه ويضحك علينا . ولن يخصنا مليم واحد .. تقسمه بينما احسن .
شدت سكيته ذراعها ، وقالت :

– وانت ايضا يا فاروق ، يبقى لن يخصك شيء .. الجنيه ملكي .. انا التي عثرت عليه .. كان من الممكن الا اخذ بالي .

وخيات الجنيه في صدرها المكتنز . صق الجميع ، تبادلوا النظرات وهم يتميزون فيظا . ماذا يفعلون ؟ .. سؤال دار في خاطرهم .. علبوة لا يفكر في الامر بجديده وانزان . كان ينفث الدخان في راحة كان الرمال الذي يحلم به قد صار في جيبه . فهو يمتيز هذا الامر سبطا ، ولا يحتاج الى صراع مصدع رأسه وهرق بذهنه . بكاه هذا الفيل .

امسك سكيته . فحقا حلفت الفرصاء . واخذت تنفي في فرح وغبطة . هي وحدها التي تملك الجنيه . معها ثروة لا تقدر اذا ما قارنتها بأجرها اليومي . كم تأخذ في اليوم ؟ .. نصف ريال .. واحيانا يماطل المعلم في هذا الاجر ، او يؤجل دفعه ، او يحصم منه . معها جيبه كامل . لكن ماذا تفعل ؟ .. طاف بخاطرها هذا السؤال . واقتربت ان تشتري به أشياء تازمها ، لكنها خافت على الجنيهه وخشيت من بعثته في توافه لم تكن تشتريها . وفضلت ان تحتفظ به لوقت الشدة . لا بد ان تضعه في مكان امين لا تتناول اليه ايدي احد من اسرتها .

أفادت سكيته من شرودها على صوت علبوة بجليل :

– عندي فكرة شحانة يتسرع الجنيه من صدرها .
صاح فاروق في دعر :

– شحانة ؟ .. يعطيه في صدر سكيته ؟ .. لا .. لا .. لا .. اصبروا قليلا ، ربما توافق على التقسيم .

رفضت سكيته ، واصرت على الرضى ..
– الجنيه من نصيبي . اشتكوي للنيابة !

توسل اليها فاروق :

– يا سكيته ، لا تكوني عنيدة . همس علبوة في اذن فاروق ، بينما يده تدفن عقب السيجارة في التراب :

– يستطيع شحانه انتزاعه من صدرها . لماذا تخشاه ؟ .. انه عيبط ، ولا يفهم الامور اياها .
لم يعقب فاروق بشيء ، فاعتبروا سكرته دليلا على الموافقة . قدم شحانة بخطوات مضطربة . كان يرحم ما حوله بالقباع وهمماته البدائية . لقد حفر في الوقت المناسب .

اوى علبوة ذراعها بشدة وقسوة . تلتوت كالتيمان بين يديه . حاولت ان تظك الاسار ، فاعبتها الجبل . احسبت بانفاسه المروجة برالحة التبغ تنفذ من خلل شعرها الاسود الفاحم ، وتصيب رأسها بالدوار . انارت بقدميها التراب ، وجلبجت بصوتها ، لكن فاروق عاجلها بيده النحيلة فاحرس صوتها . نظرت اليه في حن . مات الحب في لحظة ، وانفجر بركان من الغضب . نظرت اليه في غضب وحقد ، فلم تكن تتوقع منه ان ينقلب فجأة الى وحش هجمي . ونظر اليها فاروق كاسرأة عاصية سمي عليه توبيخها ، فلا يصح ان يعصى امر الجماعة التي تنتمي اليهم .

همس السكران في اذن شحانة ، وهي الطريقة الوحيدة التي يفهم بها شحانة انه المقصود بالكلام . ضحكات شحانة النواصلة جعلتهم يجرسون بأنه لم يفهم شيئا .
تأذى سكيته من رؤيته . انه

تجربة

- ١ - واغضى خشوعا وتهمي دموعي
- ٢ - واغرق في مستفيض الخيال
- ٣ - وارخي العنان للهفي الحبيس
- ٤ - واغفو على اغنيات المذارى
- ٥ - فاسبح في صوفي الشعور
- ٦ - فقد استعيد بذلك نفسي
- ٧ - اظم حيرتي بقايا جموح
- ٨ - واسعي امزق ستر الضلال
- ٩ - سراب يضيء بفوق ضلوعي

سلافة العامري

دمشق

الجمت النطق حين حملت منها
في وجوههم . ازمعها وجه عليوة
الكليب واقلقتها نظراته الكلية . ان
الجذري الذي يحفر وجهه يبعث على
الفتيان . وحين نظرت الى السكران
أفرعتها عيناه الجاحظتين . وتناهى
اليها صوته وهو يوبخ شحاتة وبلعن
بحم مولده . مؤكدا أنه «أين حرام» .
وارتجفت في خوف حين نظرت الى
فاروق .. كلهم لا يمشون على
الأرقياع . نهضت ونفضت التراب
من لوبها الكال . مشيت في ثورة
واناة لا تكاد تحس حزنهم الدفين
وأمالهم القبيورة ، وكأنها من عالم
غير عالم .. كانها مخلوق غريب
منهم لا يفهمهم . تبادلوا النظرات
في حيرة . توقموا ان يسموا منها
كلمات تأنيب ، لكن صمتها حفزهم
على الاستفسار عما تعنيه بما قالته
اخيرا . سالها الثلاثة ، ولم يتلق
واحد منهم جوابا . ألزمت ان تدفن
احاسيسها . لا يمكن ان تبوح لهم
بشيء . قلن يصدقها احد ، حتى
فاروق لن يصدقها . بدأ الجميع
بالنسبة لها كإنسان غريب ، او بدت
هي كأنسان غريب في عالم غير
مفهوم !

حسني سيد لبیب

القاهرة

— شحاتة ضحك عليكم ! ..
شحاتة ضحك عليكم .
لم يفهم احد ما تعنيه ، واعتقدوا
انه هديان محمود . ضحكوا ابتهاهم
عنها ، فقد حدث ما هو اهم من ذلك
.. لقد جرى شحاتة وهو يلسن
ويصيح ، اربابها الجنة من اجل
كانة اكتشف غمزها واصبح لري .
هرول السكران في اثره ، وجمد
الباقون مذهولين . كان التفكير في
هرب شحاتة مهمة شاقة وعسيرة .
تذكروا ما قالته من شحاتة . اقترب
منها فاروق فنهزته ، ولغظته لفظ
النواة ..

— كل شيء انتهى يا فاروق .
كلما انها قاسية ومريبة . حاول
ان يدافع عن نفسه ويبرر لها موقفه
لكن السكران فاجاهم بما هو اقصى
وامر :

— شحاتة اعطى الجنيه للمعلم .
تناقلت الستهم كلمة « المعلم »
وهم في ذمول ودهشة . قال عليوة
في الكتاب :

— فعلا ، ضحك علينا شحاتة ،
كما قالت سكتنة .
صرخت سكتنة :
— لا . لا . لا .

همت بتصحيح ما تعنيه ، لكنها

يبحث على الفتيان . تجاهد كي
تتجاهل ، فتئن في صمت . لكن
املا ما يداعبها في فك الحصار ،
فتتلوى وتقاوم .. تضايق عليهوه
لهذا الإبطاء ، فصاح :
— اسرعوا ، لا يمكن ان اتحمل
هذا الوضع طويلا .
بدأ شحاتة يفهم بمد طول عناءه
اقترب من سكتنة . لكنه جمد ،
وبدا كأنه نسي ما قيل له . صرخت
سكتنة وبكت . لكزت عليوة نسي
صدره لكنه لم ينزحزح ، ولم يلب .
مد شحاتة يده القسورة في
صدرها ، بدأ عليه الانبساط
والاربعية ، لمع شفثيه بلسانه في
تلاذ ، وأجمرت اذناه . يده تتحسس
الصدر البكر ، صارت يده كتلة من
النار تحرق صدرها . زفق فاروق :
— الجنيه .. الجنيه ..

اناق على زعيقه ، وإطاع عن
خوف .
اخيرا ، ظهر الجنيه الاخضر .
ابتسم شحاتة وجلجلت ضحكاته ،
وبدا عليه الانبساط . الجنيه مرفوع
في يده كتشفة تاددة . تمرغت
سكتنة في التراب باكية نائرة . انها
لا تبكي على الجنيه الذي انتزعوه
من صدرها ، وانما على كرامتها التي
اهنت ، صرخت مولولة :



١ - المستشرقون

كتاب في ثلاث مجلدات غسان - تأليف نجيب العتيقي - ١٤١٥ صفحة
- من الحجم الكبير - طبع دار المعارف بمصر .

بكر المرو ، وقد يكر عمله ، ويحسم ، حتى يبين كاليانه الشاسق ،
فيعجب المتأمل كيف استطاع هذا الإنسان ان ينهض بعمل شاق وجع .
وهو وحده فيما نلج من العصبه اولي القوة .

و ان عمل الاستاذ الكبير نجيب العتيقي في تأليف هذا المصغر ،
يشبه الاتار العاديات التي تلج من الارض تتكاثرا زمن ونفاخر الاجيال .
لقد الف كتابه الاول واسمه « المستشرقون » (١) سنة ١٩٤٧
لجمع فيه احبارا وقام بدراسات لثقله مشاترة من المستشرقين ، لكنه
وجد فليله في العلم وفي البحث والدرس ما زال طامنا فغير سنين
طولا بمتاح من تبع التتقيب ويصاير الابام والقبالي حتى طبع على
العالم العربي والعربي بكتابه الجديد ، في اجزاء ثلاثة كبرى مليشه
بالجهد ، تكاد الصفحات تنفس الصعداء من طول ما عكس عليها المؤلف
الثاقفة الاستاذ العتيقي بالاجاب والتعبير .

ولقد رحلت اشبه عمله هذا الجاهد بعمل الكلمات والوسوعات .
لكنه هذه الثلاثة موسومة استشرافية رتبا على الحروف الابجدية
وغسها الى معاش وسير وجعلها شراذم واصلا فاستشرقون الانسان
بمدهم في متفك خاص ، والسويديون في صفحات موفوفة عليهم ،
والفرنسيون في مناح متواصلة من التتبع والذكر .

وكان من الصير على ان اتناول كل جزء بالتفصيل والتدليل
وبالتعريف والتصنيف فقد كليت قرالي وفارثاني في « الاديب » الاخر
مؤونة التناول ، وبصبي ان ادلف اليهم بالتكلام على الجزء الثالث
من هذا العمل الكبير ، فان فيه اشعاعا على كل ما ذكر ضمنه وفيه ،
اذ احتوى التهارس العلمية الشافية في الاعلام الغربية والتشرية يوضع
عام ، ثم يهarris الفصول والكتب ومراجع المؤلفين والاعرافى وختم هذه
الغهارس بثبت مديد لعلام المستشرقين ، فكان هذا الكتاب محسوى
الثرات العربي والانساني في متابعته وتطوره واتاره وفيما يتراعى به
على الثقافة الاربية القديمة والحديثة الحديثة .

اما الفصول فقد احتوت على طراف الاشتراق حسب البسلاذ
والنواحي . واما الكتب فهي ما ذكر في اصالب الكتاب كله ، ممسا
بألف مكتبة برمتها . وناهيك عن الجهد بسائل هذه الغهارس الجاسمة
الودية .

وكت انفسى الاخبار من مستشرق لامع هو « جورج سينطي ونس »
فقد كتب عنه الاستاذ « كارل برت » فصلا مكتبا (٢) ذكر فيه نشأة
هذا المستشرق الدالب ودراساته وتصيله الاديب والعلمي في تفصيل
لفروب ثقافته ، ثم فيما كان له من وثائق واصال ، وما كابد مسن
جهد في الحصول على مخطوطات نادرة والقيام بتصويرها ونشرها
وتفسي مؤلفاته اوعاضها ومفوسها وفيما ناه في الهيئات والجمعيات
العلمية في الغرب وفي امريكا .

واقل يعاونني الاستقصاء للاستزادة في
شان المستشرق « ونس » حتى اصغر الاستاذ
العتيقي مؤلفه هذا التادر هيب في زياده
ووجدت ربا فيما كتبه من هذا المستشرق (٣)
ومخاصة في مؤلفاته وكتبه .

ولقد عرف قرالي وفارثاني في طويل ما
مكرهوني بالاطلاع طيه لاني اوتر الكلام على
خطائي واصدقائي وانجاف من الكتابة في
امور التهديم والتشهير وقد ضنت في ادبي
ياقيا ولم اعدم لاحد كوخا حتى عرفني قرالي

في الشرق وفي الغرب وفي أرجاء الهند وافريقيا ، فبنيت سمعتي في
عالم الابد كما بيني التحل بينه ، ورحت اصعب لظاهرة معاصرة بالي
بها التقد ، فان شدة وبائين باخون اول ما باخون به بوصف
البايع في اجسام الادياء والمؤلفين ، واهل المواهب يهسون انهم
بجرحهم واذا بالثاني يلتفتون اليهم كما يلتفتون لكل مخالف واقل
يطلب الشهرة من الرب السبل بالاداء والتهديم .

هذه خاطرة تخلصني مرت بي وانا اكتب هذا المال من اجل صديق
العصر الاستاذ الكبير نجيب العتيقي احد اركان الفكر والادارة بجامعه
الدول العربية بالقاهرة .

لقد صلفنا باب منزله منذ شهرين حين كنت بمصر احاضر في
مهد البحوث والدراسات العربية عن استاذي وصديقي « عبدالوهاب
نزام في حياته والاره » (٤) .

واستحنا وفتحت لنا زوجة العتيوسية ، فتلفتني وفرتني
تخراب ميين وفالت بلهجتها العربية الحبيبة :
- عن ماول .

فاجابها فربها الاستاذ نجيب العتيقي :
- يا لي لي لجد معلوم .

واكم فرجوا ان يطلع لي فلم سالك فالتاول به الار هذا الكاتب
الاديب اللق طاء فتيان الاسم وفالت به مصر وكارت ، فان له رواية
كبرى سماها « برج بابل » وصف فيها هجرات اللثانيين الى مصر منذ
فائدة هذا العصر وكيف كان شارع المصافة وهي الفاصر معك لحوالت
هذه الرواية . وان له في تأليفه كتابه « الادب القارئ » اصدوره سنة
١٩٤٨ طبعه المعارف بمصر وكان من الماصرين السابقين الى هذا
الوضع الادبي الحديث .

كذلك اكتب لقرالي في « الادب » الاخر وكفي احدهم جالسا
فرهم اشعر بدمه الودة وجمال اللقاء .

٢ - مسيح الخالدين

تأليف سمير شيخاني - الطبعة الثانية مطبعة وزيدة - ٤٦٠ صفحة -
من الحجم الكبير - منشورات دار السمير لطلبة والنشر ببيروت

قلت لصديق الاستاذ سمير شيخاني : انك لست تنسب لشيخ ولا
لتشيخين كما حسب غيري وانا اجدك تنسبا الى مشايخ ، فالشيخ
جمع الشيخ ، فليك بكر الشيخ ، وقد ظال اشعار القدير :
ولضحك مني شخيمة شخيمة كان لم تجد ليلي اسيرا بيايا

(١) طبع دار المعارف بمصر ، في جزء واحد ب ٢٤٠ صفحة من
القطع الكبير - (٢) نشر في مجلة « المبل » التي تصدر بمدة سنة
١٩٦٦ لساجيا الاستاذ الكبير سيد القوس الانصاري الذي يدركنا
متينا في النهضة الفكرية ببلاد ، (٣) ص ١٠٢١ - ج ٣ - (٤) اصفوت
هذا الكتاب منذ حين معك المعرفة بالقاهرة باسم معك البحوث
والدراسات العربية بجامعه الدول العربية في مصر .



الاريب

لا بديل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدلوها شهر

يناير ، كانون الثاني

ننفع فيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ فيرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للإطلاع تراجع ادارة المجلة

الادارة : ٢٢٢٨١٩ Dir : 223819
تيلون : ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

لوجه جميع الرسائل الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيير ادب

وحفا - بلا مراد للصدق ولا معاداة للخطيئ - ان الاستاذ البييري
سفير شيخاني شخص عجيب وهو كان يجوز في مصداق العلم الاعتقاد
بمزاج الجن لكثابت التنويع ليجاز ان يقول ان سفيراً يستكه جنى لعله
هو القلم والجني فيه . وقد بدا قيل عند العرب ان غير دار الجن
تسبب اليها الصوارق والاعاجيب .

وكتاب الاستاذ شيخاني « مع الخالدين » سفر نفسي . وهذا
الكتاب يدخل في سجلات التاريخ ويعد مصدرا ادبيا ومرجعا علميا
لغرفة نبد طوال او فصار من جهابذة الفكر البشري اديبا متفوقا
وموسيقيا موهوبين واهل برحال وجوال ، غربوا في الارض وجابوا
الافاق ، وفيه عرسي ودراسات لغتريين ومكتشفين وسير شقيقة لقادة
وفاتحين ، اما الفلاسفة والمفكرون فقد زاد لهم المؤلف في كفة الموازين،
وكذلك الشعراء ، لانه من قبيلهم ، ولو كان سياسيا او رساما ونعانا
لرحنا نجد في مؤلفه هذا الكبير مجالات هؤلاء ، فيها بصحة اثر مما
هي عنده من ذقة الموازين للقياس .

ويميزان الاستاذ سفير شيخاني في هذا الكتاب ، ميزان علمي ،
ومنهجه في الدرس والبحث علمي ايضا على خلاف مما جرى عليه في
مؤلفاته السابقة التي جهد فيها ان يفسى بالقاريه في نزعة مرحضة
وسلية جميلة وقناعة محبة يروي .

اما شخصيته في كتابه هذا فهي شخصية الجيد ، وكأنه لبس
لباس الحاكم العربي ، او الشرقي فيما جرى عليه للشارفة في العصر
الحديث ، من لبوس الرداء الاسود وطى رؤوسهم فيمة الحكم القاتمة
وكانه في محكمة مرضى القضاة الفكرية والادبية والانسانية .

وعلمه هذا كان خطيرا كمثل من يتقدم الى سلك من الكهوية ، او
دخول في كهف الاطالون او الاستشارة بمصباح ديوجين في رابعة النهار
اذ من يجسر ان يعيش مع الخالدين او يعاشرهم ؟ ان الاصابع لتتحرق
لدى من واحد منهم فاتهم في تجاليدهم والظالم وفي افرعهم
يشعرون بوزن مبريرا على الوجود . وهذا الذي يستعجب ان يحفظ علما
بالخالدين الذين لم يكتب عليهم القفاد على الموازين من صفحة القلم
وهناك الوجود . لقد راح سائر في كتاباته عن الصمد المطلق برمسي
البشرية في تأملات مخيفة ، فقلقه كان ينكر الخلود على الخالدين .
واذا كان هذا مخيفه ، فما اتفه حياته هو . على انسي اجدته مسؤولا
امام الوجود ذاته ، لانه اراد ان يثقي البشرية في سحق من الصمد وكان
على الدوام مذبذبا في الفكرة . اظم ينسج في اضمال الانسانية المعاصرة
فصية القلق . لم اتم يكشف من ادواء المجتمع في كل مؤلفاته ، ولكنه
لم يدوا احدا ولم يصف دواء . وكما اشبهه بجراح فتح الجثة واركها
غير مخيطة ، بل لعله غلط الجرح ، لكنه نسي بعضها من المباحص تحت
الجلد الخيط .

والمؤلف نفسه معا منحى روح عذبة حين البت صارة يلبسها
فمن مرعب اسود في اول كتابه للشاعر الاميريكي لونفيلو اذ يذكر فيه :

« اننا عندما نغادر هذه الحياة نترك واما اننا نخلطنا على رسال

الزمن » .

وناهيك مما بقي من آثار الاقدام على الرمال ، وقد سبق المؤلف
التابع شاعر المبالغة الاظم ابو الطيب المتنبي حين اترك فصية الخلود
فقال :

تنظف الانار عن اصحابها حيناً ويدركها الغناء فتسبح
ابن الذي الورسان من بيتاته ما يوصه ما قومه ما المصراع
لكني وقد طرست ايا الطيب عوري والفت فيه ، اجد فكرة الصمد
عنده سببا وباعثا ، فهو ان كافورا الاخشيدي احسن اليه ، ولم ينتكر
له حسدا وبغيا لا نفى الخلود عن الفراعين الذين يشعرون على مصر
جتوم الاقدام وامي الهول الذي ما زال حتى اليوم اثر فثابل تايليون
في وجهه واتفه وان وجهه السافر الذي بقي بعد تايليون من اعظم
الخالدين ، يحمل ميسم عزل المدافع الفرنسية عن ازالة الاسود

الإنساني الذي يحرس صحراء مصر في وادي اللوك .

وقد كتب المؤلف مقدمة متتابعة في مختارته للخلافة في لحاح سبسية .

وقد أحب في آخر مقعته أن يجبر خاطر النساء كما تقول في لهجتنا المعاصرة فذكر للكارئين والقارئات أن في كتابه سيرة لعالمات لا يكتسبن المؤلف النصف حقن بين الرجال فذكرني بقولته هذه فوفا للقرءاد ما أجبها في كتابه هذا وفي أن المرزوق سئل يوما عن رأيه في الخنساء فقال :

— تلك امرأة فالت الرجال .

وعنه نقول مثله في صمرنا :

— لقد كانت كاتبة العصر « مي » تقول عيافة الرجال (1) .

وما كنت موسيئيا ولا عازفا بالمعازف والمجون حتى ألكم على باب الموسيقين والمجنين في كتابه هذا ؟ وإن كان اطرب لسماعهم وأنس باخبارهم ، وقد كان شويرت وليست يشغلان بالي زمتا يسيريهما الفرائسين والفاجئين ، وأسجو طويلا إلى المستوفيات التفت ليتهوون ويسجتي توسكاتيني وبخاصة « فردي » ملحن اوبريت عاتمة ، وأجد « دفورجاء » الروماني البوهيمي قد خدم أمته خدمة أصبو في أمسي « لعنه إلى مثله » فإنه طاف أقال بلادهم يجمع التلاحين من الفلاحين والسوقة والقرفين ، ثم عاد في أواخر عمره يصني هذه الألحان ويروها بسكها في غناء وطني خالد . ومن لامة العربية بأن يقوم موسيكا عظيم فيها يمثل ما قام به « دفورجاء » فإن الحاننا العربية على ما فيها من نشئت لا تكاد تبين صورتنا الحقيقية خلال الزمان .

وكم للانصاف من أسباب مع قلبي ، فإني حين كنت أكتب عن الألحان هنا ، كان يقني في الفدياح الفتى العراقي « ناظم الغزالي » المأسوف على غياب ، فإني أجدني وألها مشغلا عنه سماعه في مرنان صوته الحزين وفنائه الشجي المجل . على أن لي بقرية دواس في مرنان فرادات الكرآن في العراق ، وفي الفداء العراقي بألها متحدثين برقة معزونة وصوت بال من عهد مقتل الحسين . إذ كان التجواح عليه في هذه النملات والفرادات الروبة .

كما أجد « البرز » الذي خلف فراته النفس البشائي « محيي الدين بوعيون » ما يزال يطن خلال مسمي فاجد فيه الروح البنائية العريقة . وكان مصطفى هلال المطرب الشامي يجمع الألان الصغية ليلبسها الثوب الجديد . وكان كل ذلك قليلا حين يساف الى ما نصنع الاسم من أجل لحونها وغناها .

أما كلام المؤلف الباهر على الأدباء ، فكان فيه تجوالي ومرحي ، وتكت أحسبني مثل جواد ابن الرومي الذي كان يقول « مرح الطرف في اللجام الحلي » . إذ وجدني في بهرة حلقتي ونياف فكري وبرة خيالي ومثالي .

فرحت أعطي تشكيير الطوايح الأدبية وأهلو إلى فوثير السافر العميق ، فطيف بخيالي متاعده من روايته الترقية « زاديك » — صديق . كما سمعها استأذنا الدكتور طه حسين حين قام بترجمتها ترجمة فائقة فويفة ، فلذلك تلك الراء الصغناء التي مر بها زاديك الويزر الشريد فوجدها في بعض البلاد جالسة على قبر طري الطين تجلف بمروحة بيدها ، عملة تجلي: فسألها : ماذا تصنعين؟ فاجابت :

— أجدف تراب القبر الذي في زوجي .

وفيهم تفلسين ؟

— لقد قسمت له أني لن أمارس التزويج بعده حتى يجف تراب قبره وقد حضر لي خابط ملحاح فلهذا أتاجل جفاف القبر ..

(1) بدور الآن مطابع دار المعارف بمصر لانجاز الكتاب الجديد للكتابة العربية الكبيرة السبعة واد سكاكين وموشوعة من « مي » رائدة العصر العشرين (الأدب) .

أما روسو المهي ثورة فرانسة فإن المؤلف عرعه في نطاق أدب وعالم نفسي ، وشرع اجتماعي يأثر مما يعرف سيبانيا . وألكسندر دوماس اختاره المؤلف الإنسان شيعتي شيعا فرما وثرة ابنه الشاب صاحب رواية « لادام اوكاميليا » وكان يشوطني ويشوق سائر الفسراء أن يروا بقلم الاستلا سفير كلاما رائعا عن عاشق غادة الكاميليا . وقد

امتت سارة بيرنار رواية مصيرها فانكت الجماعير . أما مدام دوستال فقد كتبت أجمعا قد وزنتها الفرنسي بيزان صائب وكان معاصرها صاحب عذكرات ما وراء القبر شاطوبريان ، يعرف قيمة ذلك الأدب النسائي الخالد .

وولفت ولغة مفردة منه فيكتور هوغو حين مرت بباريس بالمدرسة التجيزية « كوندورسيه » فقرات على الجانب الأيمن لوحا نحاسيا خالدا نقش فيه : « من هنا تخرج فيكتور هوغو » . وعلى الجانب الآخر لوح ثان منقوش فيه « ومن هنا تخرج باستور » فقلت متى نجد على أبواب بناجيتنا الواحات نقوشا فيها ذكريات العبارة الذين تخرجوا منها ؟

ومن غرائب ما يمكن أن يلقاه القاري في هذا الكتاب العجيب ، أي كتاب « مع الخالدين » أن المؤلف — وله الشكران — على الأدب العربي وعلى الشعر العربي بترجمة لبيت « هوغو » الذي أجاب به على رسالة نابليون إليه بالصفو عنه :

أبصره بصفو منه مجسرم كيف تسمي الصفو كلف المجرم وبظهر اختلال الوزن في النظم الأول والأمراب ولو قيل :

« أبرم قد عفا عن ميرم » ، لاستقام الوزن والأمراب . وكيف تم الأمر في الكلام على طائفة الأدباء ، فإنها معين عند المؤلف لا يتسب وهو من سكب أدبه وإحاطته وثقافته التسة .

ولست أخذا بغيره أنه أبود الخالدين شراهد في غير تعاقب ابجدي ، وذلك نجا من الاستصاء والحصاء .

والخاطر العربي يسلك المؤلف فذكر شجرة الدر في الباب السياسي الذي ذكر فيه ليميراميس وكلاهما من النساء اللواتي فسن بترية نافذة في الحكم والسياسة والحب ، وكانت خوانة جامسة وشاهزاده : لكنه لم يذكر احدا من العرب في باب الأدباء ، وذكر طائفة جيدة من اللاسة العرب كالكتني والفارابي والبيريوني والغزالي وابن رشد وابن باجة ، مع سقراط وأفلاطون وأرسطو وديكار وديوي ومع العلماء والفاتحين كان جوادا على العرب أيضا .

وفي الملحق الذي أضافه لكتابه ذكر طائفة مختلفة المشارب والهبات . وولفت منه سيد السرح الفرنسي الحديث ساشا فيتري الذي كان مثل مولير رواية وبخرها ويكتها ، ولست ناسيا روايته السيمائية « التمسيد شارع السنازليزه » وتكت عام 1٩٦٠ وانا أجوس خلال هذا الشارع الأعظم بياريس ذكر ساشا فيتري واكير تيوله . أما « جورج دومايل » الذي ذكره المؤلف في هذا الملحق فيشير ضدي ذكرى صديق الذي أضافه الفصاح الاستلا الكبير محمد حسين حين نكس بترجمة أجمل أثر لدومايل وهو كتابه « دفاع عن الأدب » . ومن الصفات الطيبة لهذا الكتاب التيس « مع الخالدين » استندة إلى المصادر الفرنسية والعربية مما يجعله ذا قيمة جامعية ومصدرا من المراجع الموثوق بها .

قلت لصديقي الكاتب الموهوب الاستلا سفير شيعتي هات كتابك « مع الخالدين » قبل أن يلبس جلجته الزمادة ، فإنه ليشوطني أن أكتب عنه وأن أعت الشوق إليه في قراني وقارناني بجملة « الأدب » التي أكتب فيها منذ صدورها لأزف كتابك ولا زلة « العوالسم » في رواية « بيا كثر » التي رايتها أخيرا في مصر وأعجبت بها غاية الإعجاب .

زكي المحاسني

دمشق

تسرام القاهرة

تأليف محمد سيد كيلاني - ١٤٤ صفحة - مطبعة الدني بالقاهرة

الإنهاء منه من « عصر عباس حلمي الثاني » حيث يجلي هذه المرحلة الطويلة الدنيوية في مجال المجتمع والثقافة والحضارة .

أنور الجندي

القاهرة

علم النفس في الحياة اليومية

تأليف الدكتور عمر خالد الشاندر - ١٤٤ صفحة - مطبعة ٢

هذا كتاب حري أن يلم به كل ذي نفس يعنيه أن يعرف من أمرها ما ينبغي أن يعرف ، ويؤيد الكتاب أهمية أنه من المصادر العربية المعدودة - بل النادرة - في مثل هذه البحوث وذلك أن علم النفس بما يحل من الظواهر وما يفرس اليه من قضايا النفس وأحوالها الثقيلة يعد علمًا يكثر اشتغال فيه علماء الغرب مستعصمين ومتجنبين فغفلت على أيديهم أو كاد يكتمل ..

ومن هذه الناحية فإن أهميات مصادره لم تسرح اجنبية الإنظار والتعابير والمصطلحات وظى رغم ما ألف وترجم من هذه المباحث فصا برحت مسائل من علم النفس غامضة معقدة في البيئات العربية فهي تختلف المصادر الكونية لتشكّل بها آنية العنصرين بالدراسات النفسية في أرجاء وطننا .. وقد يكون من بعض ذلك مسألة علم النفس في العلاجات النفسية أزاء مجموعة غير قليلة من الأمراض التي يظن أنها جسدية بحتة وما هي كذلك ، أو يظن أنها أمراض منتحلة موهومة وما هي بذلك .. كان من ضمن تلك الأمراض ما يسمى بالأمراض العصبية وهي فريق من الأمراض التي تروى في الطب في العربية على الوجه الذي يكشف به عن خصائصها وأعراضها تقول أن ما يرجع إليه من مصادر هذا البحث في القليل الأخرى تقول يشير لم أنه كذلك مضطرب التناول في العرف من مطبوعات هذه المصادر ..

هذا الموضوع هو أصل الكتاب الذي ألفه الدكتور عمر خالد الشاندر العليبي الأديب والباحث النفسي الذي عرف في الأوساط البغدادية بغزارة الإنتاج والذباب الحريص على البحث والاستقصاء في كثير وكثير من مجالات المعرفة ..

ومن أجل أن نعرف شيئاً عن المؤلف ينبغي أن نشير إلى شيء آخر من مصادر معرفته فلفد استفاد حصيلة الصفحات المضممة في الدراسات النفسية من خلال الفرض التي فسحها مدبراً لمستشفى الأمراض العقلية والعصبية في بغداد ، وطبياً معالجاً في غير مستشفى واحد هناك .. وكذلك من خلال وجوده عضواً في هيئة محكمة الأحداث العراقية ، وبصاف إلى ذلك احتكاكه بكثير من مجالات الثقافة الحديثة .. وبما عرفنا في بلدنا - بغداد - من سعاد أو حكايا على تثرة أهل الفضل في الناس ..

وقد تحدث الدكتور المؤلف من البدء عما يد من جهد في سبيل تأليف كتابه فقال « فلفد ظالماً فكرت في أن انتهى بهذا العصب الذي لم أجد مجموعة بالعربية بالشكل الذي يستحقه » .

ثم يقول « الله أرجو أن أكون قد وفقت ولو بقدر محدود في تأسيس المعرفة في مجال هذا البحث ولدي تقرب هذا الموضوع الشائك إلى الأذهان وفي تزويد القاري المتبع بطرائح تدلّ على بعض الإجابات المملقة التي جفت هذا العلم مجالاً لذوي الاختصاص وحسبهم في أبراجهم العاجية البعيدة - شيئاً ما - عن واقع الحياة العملية » ..

أراد كتاب الدكتور الشاندر - وأنا في مقر علمي في بكن

أنه دين قديم في عتقي لهذا الباحث الثابر أن أعرض لآر من آثاره ، وكتاب من كتبه ، فإنه واحد من أولئك الأبرار الذين يعضون يومهم بين اصابير دار الكتب بالقلمة باحثاً ومتنبهاً عن تراث الدوريات العتيبة ، وقد أصدر من قبل عدداً من المؤلفات من نوعة هذا البحث أهمها : الأدب القبطي ، السلطان حسين كامل وعصره ، طه حسين المتأخر ، الآزكية ، وله تعليقات على المؤلفات القديمة وإضافات عليها وخاصة كتاب المل والنحل للشهرستاني . وما زال منذ أعوام يعمل في إعداد كتابه المصنم عن الأدب والمجتمع في عصر الخديو عباس الثاني وهو عمل ضخم مجهود راجع من أجله صعد المؤيد والقلم والآهرام بوسا يوم خلال فترة لا تقل عن عشرين عاماً .

واليوم يقدم للقراء كتاباً صغير الحجم ولكنه خطير المعنى ، إذ يتناول موضوعاً غاية في الدقة ليرسم به صورة للمجتمع وهو تاريخ ترم القاهرة منذ أن بدأ سيره في ١٢ أغسطس ١٨٩٦ في القاهرة وما كان له من الأثر . يقول : « فلما انتهى الترم حدثت ثورة هائلة في جميع نواحي الحياة القاهرية ، فطاب السهر واصبى في متنسول الجماهير وبخاصة الشبان الذين كانوا يقفون الليل في الملاهي والمراقص ، وهدأت الروابط الأسرية في التفكك وضعفت رقابة الآباء على الأبناء ، كما ساعد وجود الترم على التساع حركة الصرمان » .

ويرى الأستاذ كيلاني أن الترم قد أنشأ أدبا يمكن أن يطلق عليه « الأدب الترامي » فكان له أثر في الحركة الثقافية والوطنية والفنية والرياضية والتجارية ، ولا شك أن هذا البحث هو قطاع من دراسة كيلاني الواسعة للسهر والمجتمع في هذه الفترة الدقيقة الشائنة التي لم يؤرخ لها بعد على وجه التفصيل والدقة . ومن هنا فأننا نجد كتاب « ترم القاهرة » من الكتب العربية الشائعة التي تعرض لمشورة مجتمع القاهرة من خلال الترم ، متصلاً بذلك ما حائل من تلك وملح نرامية وأدب شعبي وما يتصل بذلك من هياج الترم ومدحه .

هذا هو الفن الذي أولش أن يتخصص فيه الأستاذ كيلاني ويقدم فيه انثرا ناعمة حقا ، وهو في ذلك يتابع قلة قليلة من كتابنا في العصر الماضي يمكن أن يكون أبرزهم توفيق حبيب « الصلحي المعجوز » الذي أثر في مكتب عامودا كاملا في جريدة الأهرام تحت عنوان « على الهامش »

ولعل الأستاذ كيلاني أن يكفي بتاريخ الترم وأدبه ، ولمصوف يصدر كتباً متواليه من فطانات مختلفة من المجتمع ، كالثقوات ، والإبياد ، والساحر ، فيقدم بذلك خدمة لا حد لها للقائحين في شؤون المجتمع .

ولقد كان ميدان « صورة العصر وملامح المجتمع » من أدق الموضوعات التي لم يحل بها كتاب الجيل الماضي في دراسات التاريخ والتقد والفنون الأدبية المختلفة وقد لفت نظري إلى هذا الموضوع الأستاذ يحيى حتى فأناح لي بذلك أن أقدم كتابي « الشرق في فجر اليقظة » متضمناً أكثر من ٢١ صورة للمجتمع من مختلف فطاناته « الحاميين » الأقباء ، الصحافة ، الفن ، الأبياد ، الوالد ، حلقات التنسوف ، القاهي ، الأدبية ، الخ .. ثم كان أن أصدرت كتاب « تطور الصحافة العربية في مصر » وجملته « محاولة لرسم صورة للعصر وملامح المجتمع » .

غير أني لا أتابع إذا قلت أن الأستاذ كيلاني يلوطني في هسدا المجال لمصوده وأصراره ومتابعته الدقيقة لهذه المرحلة على نحو جدير بالتقدير والتوثيق وإنني في شوق ولهفة لكتاب المصنم الذي أولش

خاصة الصين الشعبية - فكان على ردم تراجم المصطلحات العلمية في أرجائه ممثلاً طريفاً .. والعجيب في المسألة أن الكتاب استطاع أن يصبح في ذهني حكاية العلاج النفسي والعمليات النفسية التي عرفت في العهد الأخير ، فاني كنت أجد ذلك مما لا خال في ولا حقيقة له ..

فلقد أورد الدكتور في تصانيف كتابه نماذج لبعض الأخطاء التي وقع فيها أطباء الأجساد عند تشخيصهم أمراضاً كانت ذات طبيعة نفسية فريت عن باهم ، بل لعلمهم تجاهلوها استهانة بها .. ورشاه المؤلف أن يكون على الحياء والتفصي في دراسته فأورد كذلك نموذجين لحالة طبيب نفسي عند تشخيصه بعض الأمراض ذات الطبيعة الجسدية جاهلاً أنها ليست من بعض شأنه ..

وأشار إلى أثر الأمراض الجسدية في النفس وأثر النفس والأمراض النفسية في الجسد فقال - ص ٢٥ - « ولقد ليت اليوم بالبرهان والتجربة أن بعض الأمراض الجسدية العصبية تنبت من عوامل نفسية صرفة .. وفي أكثر من مكان واحد من الكتاب عدد المؤلف التغيرات الجسدية التي تحصل في حالات الانفصام والتصرفات الشخصية الأخرى من نحو الفصم والحزن والغوف .. ونوه بمسا يشأ من اعتد العالة الصحية وتآكلها لدى المرضى الذين لا يلاحظ الأطباء ظروفهم النفسية للتأكد من طبيعة ما يشكو منه من الأمراض والتثبت من تشخيص عصبونها أو نفسانيتها .. ويؤكد الدكتور أن حكاية الطبيب النفسي لم تكن وليدة الإيمان المتأخرة بل أن ذلك كان مما اعتدى إليه البشر القديم منذ ظهور بعيدة ..

فأرانا المؤلف يقتبس من مصادر غريبة ألفت في عهود الحضارة الإسلامية المترقة شواهد توضح إلى علاقة النفس بالجسد في امر الأمراض والأقسام ، كالذي فعله في الإنشاس من « كامل الصناعة الطبية » لابن العباس الجوسي المتوفي سنة ٣٨١ هـ .. مما يستدل به على أن العرب تقرأ في هذا الموضوع والتجوا إلى دراسته والتنبؤ به ..

وفرق المؤلف بين الأمراض العصبية والأمراض العقلية فذكر - ص ١٢ - قوله « والناس يختلف مستوياتهم الثقافية - أي بعض المتخصصين منهم - يعتقدون بأن الأمراض العصبية والأمراض العقلية شيء واحد ..

والذي المؤلف كبير الحرص على أن ينال الطب النفسي عنايته نامة فيكون حيث كان الطب الجسدي .. فهو يقول - ص ٢٢ - « وحيداً لو أن التدريس في الطب عندما ينتج هذا الاتجاه السليم وبهتسم بالتواحي النفسية بقدر ما يستحقه » ، وكذلك افترض أن يكون هناك مجلس أعلى لتنظيم النفسي في البلاد .. ونراه يقول - ص ١٤٥ - « ومن المفروى أن يبدأ العمل على الصعيد الرسمي الذي هو القدر على المبادرة من غيره في تحقيق فكرة الصيادات النفسية للاختصاص والاحداث والمراعات كشباب ..

وأفاض الدكتور الكلام على أهمية علم النفس فكان ذلك - على ما أظن - مما استطاع الدكتور أن يتوصل به إلى افتاع غير واحد ممن لم يافقوا مثل هذه المسائل بعد ولم يستعروها ..

ومعد الدكتور إلى علم النفس فجعله ذا شأن في التوجيه الموسيقي والتحفيز والشعر ، وكانت هذه قبل اليوم معدودة من جملة علم المثلث ..

والؤلف كثير التواضع ودعائه الخلق ، ورايت آثار ذلك في تصانيف كتابه غير مرة ففي - ص ٢٢ - يقول « والإنطلاق منذ طمساه النفس من السلوك .. وهو عتيدي - على كوني من المعلمين - صمادة السلوك ومؤلف فؤاده » .. وفي - ص ١٧ - قال « ولعل شغفي في المعجز والتفسير عند القاريه للكشف الذي يعرف مشقة البحث التي في الخبر العام قصدت واتني أقدم اليه في هذا البحث خلاصة

● مجلة « الآذاة والتفكرين » ، القاهرة :

.. وفي الألب العربي الحديث رأينا أدياب يمكن أن نسميهم « أدياب الآسرة » ، فهم يدرسون العلاقات داخلية الآسرة ، إيماناً منهم بأنها أصقل تعبير عن حياة المجتمع . ومن الأدياب العرب الذين يمثلون هذا الاتجاه ، الكاتب السوري فاضل السباعي الذي يتم اهتماماً خاصاً بمناقشة الحياة في الآسرة ، وعن طريقها يعكس حياة المجتمع السوري وبلفس رؤاه .

● سليمان موسى ، عمان :

.. أن أحسن التوفيق في « رباح كانون » يبرز في إبداع السباعي لشخصية بظه « دامي حسام الدين » : ذلك الفني المتكافئ بكل ما يستلزم في صدره حسن نسواته الطموح وعذابات الفلق . وقد نجح المؤلف كثيراً في تحديد « التل الأمل » الذي يتطلع اليه « فتي العصر » : أنه يبحث عن بيئته الأصلية ، حتى إذا وجدها ، مروداً بنشاز التجربة المرة ، توصل إلى الحل ، إلى السر الأعظم فسي نفس الإنسان : إلى أن يعرف نفسه .

● الدكتور نقولا زيادة ، بيروت :

.. أن أدياب فاضل السباعي يمثل الحياة التي يلحظها بين جماعته وامت . أنه يعالج ، في كل قصة ، مشكلة من المشاكل الاجتماعية والنفسية التي يتعرض لها مجتمعنا ، وهو يكتب منها بيق ، فكانه يحاول أن يسير فور هسده نفس البشرية ويعرض ما يستلزم فيها من عواطف وروايات ومنازع .

● عيلة الخماش ، لندن :

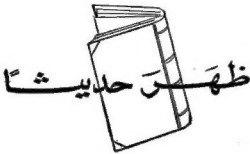
.. « رباح كانون » من خلال قرائه روياتك « رباح كانون » ، أن أصل على ما يجري في « مجتمع الرجال » ، حين يكونون وحدهم ، لا وليق عليهم ولا سمع من الجنس الآخر . وبالطالتي تلك عرفت ما يدور بينهم من أحاديث وتعليقات ، ولا سيما ما يخصنا نحن مشتر النساء ! وبطس النظر مما أحسست به وأنا أقرأ بعض الفقرات التي لمسا ، فانه لا يسعني إلا أن اهتلك على صدرك وإخلاصك في عرسها . وير دار القصة العربية بطلب للطباعة والنشر أن تقدم رواية الروائي السوري فاضل السباعي الجديدة التي تحمل انتصار الفسراء لها :

رياح كانون

ونظن استعدادها لتلبية الطلبات التي تردنا من مختلف الأقطار ، سواء طلب الكتيبات كميات معينة ويتفق بشأنها مع الإدارة ، أو الطلبات الفردية ويرسل لمن التسعة الواحدة ، وفدره سبعة وخمسون قرشاً سورياً أو مسا يعادل دولارين (الكتاب من ٤٨) صفحة من القطع الكبير ، طباعة أنيقة وورق فاخر) بحوالتيهريده أو معرفيه أو شيك إلى العاد التي تولى إرسال الكتاب بالبريد المسجل على نطقها . ولمن السخة تخرج الأقطار العربية ثلاثة دولارات . الرسالة مع :

دار القصة العربية

حلب ، سورية - شارع استكردون



أسلوب علمي توضع مفرد في النظريات ..

ويجلى حسن أدب المؤلف وفردته وفاته لاستلهامه في الطب «الدكتور هاشم الوترى» إلى حد أنه وصفه عند الإشارة إلى اسمه بالتسبيح الرئيس تشبهاً له بالشيخ الرئيس أبي علي عينا ..
والحسن الديني لدى المؤلف يتجلى على سطور الكتاب بلهجان باهر في بعض الأحيان من نحو قوله - ص ٢١ - «ومنها ما يحصل فسي النظام الهرماني الدماغي الذي هو من أعاجيب إرادة الله في خلق هذا الإنسان ..»

ولم يخل الكتاب من إشارات إلى بعض نظم التربية الاجتماعية الفلكلة لدى الناس بل قد يكون ذلك شيئاً متلبساً بمختلف موضوعات علم النفس في الحياة اليومية ..

فإن الدكتور يقول - ص ١١٢ - «إن شعور الطفل بنفسه لجهة من أبويه أو من يقوم مقام أحدهما أو كليهما وبأنه غير مرغوب فيه قد لا يؤدي إلى قلق مرضي فحسب وإنما إلى تعويض أو انتقام أيضاً مما هو طريق الجروح .. كما أن الإفراط في المحبة قد يؤدي إلى عدم نمو الشخصية وإلى بقاءها متعمدة على الغير مما هو طريق العصاب والمراهقة المختلة غير المتوازنة ..»

ومن الفصول القيمة في الكتاب ما عدده المؤلف من أسباب الأمراض العقلية وأعراضها وما قدمه لقراءه من نصائح ونوصيات قيمة في معالجة هذه الأمراض ، وغنم هذا الفصل بمقترح قيم يتعلق بشأنا جميعات وحياتنا من اختصاصها حماية الصحة العقلية ..

ثم الحق المؤلف بكتابه لعمداً مفصلاً للمصطلحات والتعابير المتعلقة بعلم النفس ..

إن كتاب الشايفر في علم النفس لم يبق نفس السكود الذي لمبه كتاب الألفاني لأبي الفرج بما نقله إلى أوساط الناس من ذخائر الأدب والنفس ، وهكذا صنع الدكتور الشايفر فاتح بذلك للقراريء القاري ما يفلح نفسه في امر النفس وطعها ، ويعرف من شأن هذه النواصيا ما يتفجع به بعض الانتفاع ، ويرد من فصوله في هذا الشأن ما يرد ..
وفي تصانيف الكتاب أثبت المؤلف حقائق علمية حكيمة متناصرة هتاء وحسن من مثل قوله - ص ٨٦ - «وليس في الناس من هو سوي كامل مطلق السوية والأخرى من نطاق الإنسان» .. ومثل قوله - ص ٦١ - «والذي يعتقد بأن العمل يؤدي إلى نتيجة منطقية دائماً مضطرب بلا شك ، لأن الالتزام بالتفكير المنطقي الموضوعي المجرّد نادر حسي بين العلماء ..»

إن الكتاب حسن العرض والتعليل وربما كانت بعض فصوله أكثر نوفيماً من غيرها في هذه الناحية .. والمؤلف قوى الحججة ولو نظرنا انتقاداً نافذة في كلامه على «المستبريا» نجدته يقول للعلم لم أجد لفظة أسود في متولها وحملت ما ليس منها وفرت يسسوه الأخذ والانتقال واستخدمت في غير مجالها كهذه الفلكلة التي تدل على ذهن محدود وتشير إلى حالة مرضية معينة ذات أوصاف خاصة وسعت ميزتها وعلامات دالة .. ولكنها اختلفت في إذهان معظم الناس خواصهم وعوامهم صورة مهزوزة ومشوشة وظالمة في أكثر الأحيان ، بل لقد صارت في عدد من الحجج مسن كلمات الزبانية والسلب والتحقير ومن أوصاف الفش والكذب والتدليس ..»

وفي الكلام على العوامل المسببة للأمراض العقلية نسرى المؤلف يقول «إن البطالة عامل مهم في هذا الباب لا من الناحية الاقتصادية وحدها وإنما من ناحية التخمين لدوافع الحركة والإنجاز عند الفرد وأن عدم والمال التاجمين من البطالة لا بد أن يؤدي إلى اضطراب نفسي .. أن العمل اللازم يؤدي إلى اثبات الذات وتطمينها وبعبارة بقدر الله لفته بنفسه وينساق إلى طريق الاضطراب النفسي ..»

وأخيراً فاني أرجو للكتاب أن يلعب دوره في الثقافة النفسية وأن تؤني جهود الأستاذ الدكتور المؤلف أكلها كل حين .. وعساني قد وفقت للتنبؤ به وبكتابه على وجه حسن وطريقة مرضية ..

جلال الحنفي

يكن

- العهد الفخري في سوريا ولبنان ١٩١٨ / ١٩٢٢ - تأليف محمد جويل بيه - ٢٢٤ صفحة - منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت - مطابع دار غندور بيروت .
- جيانا الصواريخ في الهياكل - مجموعة شعرية - الرحلة الثانية - ثريا ملص - رسم اللاف الهندس نائل ملص - ٥٨٠ صفحة - حجم كبير - مطبعة الغرب بيروت .
- هذا جنى زرعك يا سامي - مجموعة شعرية - هلال ناجي - ٢٤ صفحة - دار الإرشاد للطباعة والنشر بيروت .
- التوت الر - رواية - تأليف محمد العروسي الطوي - الرسوم بريشة محمود التونسي - ٢١٦ صفحة - فازت هذه القصة بجائزة بلدية العاصمة عام ١٩٦٢ - منشورات الدار التونسية للنشر بتونس - طبع الشركة التونسية للفنون الرسم بتونس .
- المرأة اليومية والزوج النسيانية - تأليف ثريا ملص - ٢٢ صفحة - مطبعة دار القرب بيروت .
- بيت الفرات - رواية - تأليف حازم مراد - الرسوم بريشة مقل بزي الله - ١٧٢ صفحة - مطابع دار البصري ببغداد .
- نقرات الأجور في الفكر الاقتصادي - تأليف الدكتور محمود محمد العجيب مساعد رئيس جامعة البصرة في العلاقات الثقافية ومدرس العلوم الاقتصادية - ٥٢ صفحة - منشورات المؤسسة الثقافية العمالية في العراق - مطبعة الحرية ببغداد .
- تطور جنون الإنسان - دراسة أعدت لمناسبة المؤتمر الدولي لعقول الإنسان - تأليف دوكي بن زائد المزري - تقديم نزار الزين صاحب مجلة العرفان ببغداد - ٥٤ صفحة - ملحق مجلة العرفان - مطابع الوفاء بيروت .
- العصا في حياتنا وتراثنا - تأليف الهادي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم ببغداد - ٩٦ صفحة - حجم كبير - الكتاب ١٩ في سلسلة تحقيقات فوكلورية من وادي الفرات - مطابع الآباء والآداب بدمشق .
- الطواحين الثلاث وقصص واقعية أخرى - تأليف فتوح حب الربيع - ١٢٨ صفحة - منشورات دار الرائد بطلب - مطبعة كتيبر بطلب .
- نوازل الفتى بين العرب وإسرائيل - دراسة تحليلية استرانيجية لعمود حزيان ١٩٧٧ - تأليف أمين النوري - ٢٧٦ صفحة - حجم كبير - دار الاعتدال للطباعة والنشر بدمشق .
- نهر التسامع - مجموعة شعرية - أحمد علي حسن - ١٦٠ صفحة - منشورات الفول الثقافية بدمشق - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- النار في حياتنا وتراثنا - تأليف الهادي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم ببغداد - ٩٦ صفحة - حجم كبير - الكتاب ٢٢ في سلسلة تحقيقات فوكلورية من وادي الفرات - صدر في دير الزور ببغداد (لم يذكر اسم المطبعة) .